صور من جغرافية وتاريخ أبها في القديم والحديث (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس، (الجزء السابع عشر) (الطبعة الأولى) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)، ص ص ٣٤٣ - ٣٧٥. (الطبعة الثانية، ١٤٤٢ هـ/٢٠٢٠م)، ص ص ٣٤٩ - ٣٨٢.

ثانياً : صور من جغرافية وتاريخ أبها في القديم والحديث .

بقلم . أ. د. غيثان بن علي بن جريس .

م	الموضوع	الصفحة
١.	تمهيد	٣٤٣
٢	لمحة عن جغرافية وتاريخ أبها قديماً	٣٤٤
٣	نبذة عن جغرافية أبها وتاريخها المعاصر (١٤١٠ - ١٤٤٠هـ / ١٩٩٠ - ٢٠١٩م)	٣٧٠
٤.	تعليقات وآراء	٣٧٥

١. تمهيد :

في يوم الخميس (٦/شعبان/١٤٤٠هـ الموافق/١١/أبريل/٢٠١٩م) دعتني إمارة عسير لمقابلة سمو أمير منطقة عسير، تركي بن طلال بن عبد العزيز آل سعود، وفريق استشاري لتطوير مدينة أبها . وعند الالتقاء بهم عرضوا علينا تصميمات هندسية لسوق الثلاثاء بمدينة أبها الذي تسعى تطوير هيئة عسير إلى إقامته في وسط المدينة . وكانت تلك المخططات الهندسية في صورة جيدة وذكرنا لهم بعض الملحوظات التي تربط الماضي بالحاضر مع الحفاظ على شيء من الموروث الحضاري المحلي القديم [(١)] . وكوني أبحث في تاريخ وحضارة جنوب المملكة العربية السعودية (تهامة والسراة) منذ أربعين عاماً فإن مدينة أبها إحدى النواحي التي أصدرتُ عنها عدداً من البحوث خلال الخمس والعشرين سنة الماضية . ورغبة في اطلاع الباحثين والمخططين والهيئة الاستشارية لتطوير منطقة عسير ، فإنني أسرد بعضاً من هذه الدراسات المنشورة لعلها تفيدهم أثناء عملهم في تطوير مدينة أبها الحضارية ، وهي على النحو الآتي: (١) كتاب: **أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية)** (الرياض: مطابع الفرزدق ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) (٥٨١صفحة) ، وقد أعيدت طباعته عام (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م) ، ويوجد فيه تفصيلات جغرافية وتاريخية وحضارية لهذه المدينة العريقة (أبها) عبر أطوار التاريخ .(٢) **دراسة بعنوان" أبها مدينة المستقبل (مقترحات ووجهات نظر)"منشورة في (مجلة بيادر)** الصادرة من نادي أبها الأدبي، عدد (٣٥) (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) . ثم نشرت مرة أخرى في كتابنا: **بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر** (جدة: دار العويفي ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) ، ص ١٥-٣٢.

---

(١) أخبرنا سمو الأمير تركي بن طلال (أمير منطقة عسير) في ذلك اللقاء أن الموافقة من المقام السامي ووزارة المالية بخصوص إزالة المجمعات الحكومية الموجودة في وسط البلد قد وصلت إليهم ، وسوف يعملون في قادم الأيام على إزالتها ودراسة تطوير موقعها ، وهي ملاصقة لسوق الثلاثاء الحالي من الجهة الشرقية . ونأمل من سمو الأمير وكل العاملين في هيئة تطوير عسير أن يحافظوا على موروثنا وتراثنا الحضاري الأصيل أثناء إعداد تصاميم هذا التطوير وعند تنفيذها .

وهذه الدراسة أعددتها وقدمتها إلى سمو أمير منطقة عسير سابقاً(خالد الفيصل) في عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ، وفيها بعض الرؤى والاقتراحات التي رأيتها صالحة لتطوير مدينة أبها .

(٣) من يطالع كتابنا : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، (الجزء الأول) ، المطبوع عام (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) يجد فيه الكثير من التفصيلات والوثائق التي ترصد شيئاً من تاريخ أبها وبخاصة قرارات المجلس البلدي في مدينة أبها من عام (١٣٦٢-١٣٨١هـ/١٩٤٢-١٩٦١م) ، ص٢٥٤-٤٣٤. وفي أجزاء أخرى من سلسلة كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، كما نشر عدد من الدراسات عن مدينة أبها ، ومنها : **(أ) نظرة في كتاب : أبها حاضرة عسير**. بقلم الدكتور إبراهيم محمد أبو طالب[١]. **(ب) النماص وأبها (١٣٧٩-١٤٠٠هـ /١٩٥٩-١٩٨٠م) (انطباعات ومشاهدات).** بقلم . أ . د. غيثان بن جريس[٢]. **(ج) بناء قاعدة بيانات جديدة بيئية لحوض وادي أبها بمنطقة عسير (دراسة جغرافية)** . بقلم . د. فائز محمد آل سليمان عسيري[٣]. وفي الصفحات التالية نذكر شيئاً من جغرافية وتاريخ مدينة أبها في الماضي .

(٢) لمحة عن جغرافية وتاريخ أبها قديماً :

إذا رجعنا إلى المصادر التاريخية والجغرافية لنعرف سبب تسمية (أبها) بهذا الاسم ، ومتى ظهرت التسمية ، فلا نجد أقدم مما ذكره لنا الحسن بن أحمد الهمداني في كتابه : صفة جزيرة العرب ، عند الحديث عن (جرش وأحوازها) فقال: " ويصالي قصبة جرش أوطان حزيمة من عنز ، ثم يواطن حزيمة من شاميها عسير، قبائل من عنز ، وعسير يمانية تنزرت ، ودخلت في عنز ، فأوطان عسير إلى رأس تية، وهي عقبة من أشراف تهامة ، وهي أبها ..."[٤]. ثم ذكرها في مكان آخر فقال : " والدارة ، وأبها ، والحللة والفتيحا ، فحمرة وطبب فأتانة والمغوث فجرشة ، فالإيداع ، أوطان عسير من عنز وتسمى هذه أرض طود"[٥].

---

(١) انظر : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) (الجزء الثامن) ، ص ٢٩٤-٢٩٨ . .

(٢) القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) (الجزء السابع) ، ص ٣٢٨-٣٦٤ .

(٣) انظر : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) (الجزء الثالث عشر) ، ص ٢٥٨-٣٣٢. وجميع البحوث الآنف ذكرها في موقعنا الإليكتروني (Prof – ghithan.com) .

(٤) انظر الهمداني ، صفة جزيرة العرب (الرياض : ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ، ص ٢٥٥ .

(٥) المصدر نفسه ، وقول الهمداني لا يعني أن أبها لم تكن موجودة ، فالثابت أن هذه البلاد مستوطنة بالبشر منذ آلاف السنوات ، لكننا لم نجد في المصادر العربية التقليدية ما يوضح ذلك ، وإذا رجعنا إلى المصادر السريانية واللاتينية القديمة وجدنا فيها إشارات لمواقع عديدة في بلاد تهامة والسراة. ونأمل من المؤرخين المتخصصين في التاريخ القديم أن يعكفوا على دراسة هذه الأوطان في عصور ما قبل الإسلام .

وبهذا النص نستنتج أن أبها كانت معروفة بهذا الاسم منذ القرون الأولى في عصر الإسلام ، وأنها أحد الأجزاء الهامة في بلاد عسير (مخلاف جرش قديماً) لكن هل كانت أبها موجودة ومعروفة بهذا الاسم في العهود السابقة لعهد الإسلام ، أو في اثناء ظهور الإسلام . والحق أنه ليس لدينا إجابة مؤكدة على هذا التساؤل مع العلم أن العديد من الدراسات المتأخرة ذكرت أنها كانت تسمى (هيفاء) أو (أيفا) أو (عيفة) ، بل أشارت بعض تلك الدراسات إلى أنها كانت إحدى المدن الكبرى في دولة سبأ (٨٥٠-١١٥ ق. م) ، مدعية نقل هذه المعلومات من كتب التوراة [١] . وبعد الرجوع إلى العديد من المصادر الموثوقة التي كتبت عن التوراة لم نجدها أوردت ما ذكرت تلك الدراسات المتأخرة [٢] . ومثل هذا القول يحتاج إلى تأكيد من مصادر أساسية أمينة ، وإذ دققنا النظر في مصادر السيرة النبوية ، ومصادر التاريخ الإسلامي المبكرة وجدناها تذكر مواقع عديدة في منطقة عسير مثل بلدة جرش ، وبيشة ، وتبالة ، وبارق وغيرها ، كذلك لو نظرنا في مصادر الشعر الجاهلي ، وبعض الدواوين الشعرية المبكرة لوجدناها أيضاً تشير إلى جبال ومواقع وأودية في بلاد عسير ، دون أن تشير إلى اسم (أبها) والرأي عندنا أن هذا لا ينفي عدم وجود هذا الاسم في صدر الإسلام ، فربما لم تكن مشهورة مثل غيرها ، وبالتالي لا يدرك مكانها واسمها إلا رجل خبير بالبلاد فسمع عنها وربما جاء إليها مثل أبي محمد الحسن الهمداني .

وإذا كان الهمداني قد ذكر اسم أبها في القرن الرابع الهجري، فإن المصادر الإسلامية في العصور الوسطى لا تذكرها ، وإن كان هناك روايات متناثرة أشارت إلى أهمية مخلاف جرش ، ومصادر أخرى ناقشت بعض الجوانب السياسية والحضارية لبلاد السراة الممتدة من الحجاز إلى اليمن[٣] . فهذا كله لا يشفي الغلة ولا يفيدنا كثيراً في معرفة الأوضاع الجغرافية والتاريخية لمدينة أبها. أما إذا رجعنا إلى المعاجم الجغرافية ، مثل معجم البلدان "لياقوت" ، أو معجم ما استعجم "للبكري" ، أو غيرها، فلا نجد ذكراً لاسم "أبها" وهذا ما دفع بعض الدارسين المتأخرين إلى القول: بأن مدينة أبها حديثة ومن أولئك صاحب دائرة المعارف الأستاذ/ "فؤاد البستاني" ونذهب مع قول الأستاذ حمد الجاسر الذي قال: "ليس كل مدينة أو بلدة قديمة يوجد

---

(١) من يعود إلى المصادر القديمة التي تؤرخ لدولة سبأ وبعض دول اليمن القديمة يجد معلومات تذكر امتداد نفوذها إلى تهامة والسروات الواقعة شمال حواضر اليمن الرئيسية ، لكننا لا نجد معلومات دقيقة تذكر مدينة أبها وأحوالها الحضارية ، مع أن مخلاف جرش مذكور ومعروف في المصادر القديمة السابقة لعصر الإسلام . .

(٢) انظر : سيد يونس ، لمحات عن تاريخ عسير القديم (مطبوعات نادي أبها الأدبي) ، ص ١٥- ١٧ .

(٣) انظر بحوثاً عديدة عن تهامة والسراة في كتب غيثان بن جريس وموقعه الإليكتروني .

لهـا ذكر في معجمـات الأمكنة التي بين أيدينا "[١]. ولو اطلعنـا على بعض معاجم اللغة الأساسية مثل(لسان العرب لابن منظور) أو (تاج العروس) للزبيدي ، وحاولنا معرفة سبب تسمية أبها لوجدنا فقط أنها من البهاء والحسن.

والسؤال الذي يفرض نفسه هو : متى أصبحت مدينة أبها حاضرة رئيسية لمنطقة عسـير ؟ وللإجابة على هذا السـؤال يتوجب علينا استعراض بعض الملامح السياسية لمنطقـة عسير مـع ذكر الحواضـر الرئيسية قبل مدينـة أبها . وكما ذكرنـا سابقاً فإن المنطقـة التـي تشغلهـا منطقة عسـير حالياً كانـت في الغالب تعرف بمخـلاف جرش ، ولم يظهـر مسمـى إقليم أو منطقة عسير إلا منذ القـرن الثالث عشر الهجري . ومدينة أبهـا لم تكن معروفـة بصيغتها الحضارية والتاريخية التي نالتهـا مؤخراً منذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري ، وإنما كانت ضمن القرى المنتشرة على ضفاف وادي أبها، ومـن أشهر تلك القرى قريـة تسمى "مناظر" كان قد تناولها بالوصف الرحالة موريس تامزيـه عام (١٢٤٩هـ/١٨٣٤م) [٢]. أما أول عاصمة رئيسيـة في منطقة عسير خلال التاريـخ الحديـث فكانت بلدة "طبـب [٣].وذلك عندما وصل الأمـير/ محمد بن عامر المعروف بـ "أبو نقطة " إلى الحكم في عسير ، إبان ظهور الدعوة السلفية التي نادى بها الشيـخ محمـد بن عبدالوهاب في نجد ، وكان أبو نقطة مـن أوائل من استجاب لندائها في عسـير سنة (١٢١٥هـ/١٨٠٠م) ، وحمـل راية الجهاد في سبيلها ، وبايعه العسيريون عندئـذ بالإمارة في مقر إقامته "طبب "وفي عام (١٢٣٧هـ/١٨٢١م) ثار الأمير/ سعيد بـن مسلط المغيدي على حكـم الشريف محمد بن عبد المعين بن عون ، واتخذ من قريته بلدة "السقا "[٤] . عاصمة لإمارته بدلاً من طبب ، فكان ذلك نقطة تحول عاصمة عسير من طبب إلى السقا . وفي عام (١٢٤٢هـ/١٨٢٦م) وصل الأمير/ علي بن مجثل المغيدي إلى الحكـم في عسـير واختط أول قلعـة حكومية بأبها عرفت بقلعـة المفتاحة [٥] ، فكان

---

(١) حمد الجاسر" بين أبها وعيفة" . مجلة العرب، مج(٢٣) (١٤٠٨-١٤٠٩هـ)، ص ٥٢٥-٥٢٩. للمؤلف نفسه" أبها قاعدة بلاد عسير " ، ص ٥٨٨-٥٨٩ .

(٢) هناك العديد من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المحدثين أشاروا إلى بعض حواضر بلاد تهامة والسراة ، وكانت أبها مدينة رئيسية ذكروها في مشاهداتهم ومدوناتهم . انظر غيثان بن جريس .القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: ٣٢-١٤٣٣هـ/٢٠١٠-٢٠١١م) (الجزء الثالث) ، ص ٣٢١ وما بعدها .

(٣) انظـر موريـس تاميزيـه . رحلة في بلاد العرب / الحملة المصرية على عسـير . ترجمة محمد آل زلفة (الرياض : مطابع الشريف ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) ، ص ٣٣٣ وما بعدها .

(٤) بلـدة السقـا: تقع في مرتفعات حاضرة أبهـا الغربية ، ومازالت هذه الناحية مأهولة بالسـكان إلى وقتنا الحاضر . وهناك العديد من الأمكنة التاريخية في سروات عسير من أبها إلى الطائف ، وكل هذه الأمكنة تستحق أن يفرد لها دراسات مستقلة ومطولة ، ونأمل من قسم التاريخ وطلاب الدراسات العليا في جامعة الملك خالد أن يقوموا بهذه المهمة العلمية .

(٥) المفتاحة : هي الناحية التي تقع إلى الغرب من وسط أبها الذي توجد فيه مباني المجمع الحكومي الذي يراد إزالته في المستقبل القريب ، وأيضاً على مقربة من سوق الثلاثاء القائم حالياً إلى الجنوب من وادي أبها وإلى الغرب من المجمع الحكومي الآنف ذكره . ولا نعلم لماذا سميت المفتاحة ، فربما أنها سميت بهذا الاسم عندما افتتحها الأمير علي بن مجثل في منتصف القرن (١٣هـ/١٩م) وبنى فيها قلعته ومقر إقامته .

ذلك نقطة تحول أخرى في انتقال عاصمة عسير من مقرها " السقا " إلى مدينة أبها ، ومنذ ذلك التاريخ صارت أبها هي الحاضرة الرئيسية لمنطقة عسير ، بل تجاوز نفوذها في النصف الأخير من القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر حتى شملت بلاد جازان والحديدة ونجران وصعدة جنوباً ، والقنفذة وبلاد غامد وزهران شمالاً[١] . وفي عهد الحكم السعودي الحالي أصبحت مدينة أبها من المدن الكبرى في المملكة العربية السعودية ، بسبب ما نالها من الرعاية والتقدم على أيدي حكام البلاد السعودية منذ عهد الملك عبدالعزيز حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز .

ومنذ أصبحت مدينة أبها حاضرة عسير ، صارت المؤلفات تتناولها بشكل من التفصيل لا في جغرافيتها فحسب ، ولكن في أحوالها السياسية والحضارية ، أيضاً، ويعد الشريف البركاتي من أوائل من تحدث عنها في الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري ، فذكر عنها بعد أن شاهدها قوله "هي مدينة عظيمة واقعة في ميدان فسيح مربع الشكل تحيط بها الجبال من جهاتها الأربع كسور لها ، وفي قمة كل جبل قلاع وعددها عشرون قلعة محصنة أحسن تحصين " ، وفصل الحديث عن الأحياء الواقعة في مدينة أبها أو القرى المحيطة بها ، وأشار إلى أهمية وادي أبها للمدينة وكثرة المزروعات على جانبيه ، كما نوه إلى أهمية أبها كمركز حضاري رئيسي للقوات العثمانية فقال : " وأبها عاصمة لواء عسير ويتبعها ستة أقضية، وكل قضاء أو قائمقامية يتبعه قرى أو قبائل تؤدي زكاتها إليه[٢]، ثم فصل الحديث عن كل قائماقمية تتبع لمدينة أبها

وكان السير كورنواليس (Sir. Cornwallis) معاصراً للشريف البركاتي، وقد ذكر أهمية أبها كمركز حضاري وإداري في أثناء حكم الدولة العثمانية لمنطقة عسير ، من عام (١٢٨٩-١٣٣٧هـ/١٨٧٢-١٩١٨م) ، والطريف في حديث كورنواليس إشارته إلى أن بيوت أهل أبها ، تتألف من طابق إلى ثلاثة طوابق ، كما ذكر أن سكانها تقريباً حوالي عشرة آلاف نسمة بما في ذلك الضواحي المحيطة بالمدينة [٣] . ويتحدث الواسعي أيضاً عن أبها[٤]، وربما كان من معاصري البركاتي وكورنواليس ، فيقول: " وعاصمة عسير اليوم أبها وتسمى

---

(١) للمزيد عن تاريخ أبها في القرن (١٣هـ/١٩م) والنصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م) . انظر :محمود شاكر ، عسير، ص ١٤٦ وما بعدها، علي أحمد عسيري . عسير (١٢٤٩-١٢٨٩هـ) ، ص ١٢٣ وما بعدها ، غيثان بن جريس ، صفحات من تاريخ عسير (الطبعة الثانية /١٤٣٤-١٤٣٥هـ/٢٠١٣-٢٠١٤م)، ج١، ص ٩١- ١٢٠ . ج٢، ص ٢٣٥- ٢٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ، وللمزيد عن جغرافية وتاريخ أبها انظر: محمود شاكر ، عسير ، ٢٢٠، هاشم بن سعيد النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، (الطبعة الأولى) ، ص ٢١٤ وما بعدها ، عبدالله بن علي بن مسفر، السراج المنير في سيرة أمراء عسير ، ص ١٢١ وما بعدها ، غيثان بن جريس، أبها حاضرة عسير (الطبعة الأولى) ص ١٥ وما بعدها .

(٣) انظر: Sirkinahan Cornwallis. Asir Before World War.1(1967)pp-67-68.

(٤) انظر : عبدالواسع الواسعي . تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص١١١-١١٢ .

السـراة لأنها تقع ضمن بلاد السراة الممتدة مـن الحجاز إلى اليمن [١]. وأضاف الواسعي بعضـ التفصيلات عن ارتفاع مدينة أبها عن سطح البحـر ، وحسن مناخها ، وشدة بأس أهلها ، ثم ذكر الأقضية الستة التي كانت تتبع لها في عهد الأتراك [٢] .

ومنذ منتصف القـرن الرابع عشر الهجري يظهر عدد من الدراسات ناقشت بعض التفصيـلات عن مدينة أبها ، ومـن أول تلك الدراسات كتاب (Arabian Highlands) لفلبـي، وكتـاب "في بـلاد عسـير" لفـؤاد حمـزة ، الـذي خـرج في طبعتـه الأولى عام (١٣٧٠هـ/١٩٥١م) . وكتـاب "في ربـوع عسير" لمحمـد عمر رفيـع في أول طبعة له عام (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م) ، وهذه الدراسات تحدثت عن جغرافية مدينة أبها وتاريخها ، وكتاب: رحلـة استكشافيـة في وسط الجزيرة العربيـة لفيليب ليبنز ، وكتـاب : **المملكة العربية السعوديـة وتطور مصادرها الطبيعيـة لتويتشل**. وهذه الدراسات الخمس تحدثت عن جغرافية مدينة أبها وتاريخها ، لكن كتابي فؤاد حمزة ، ومحمد رفيع يظهر بينهما تشابه في كثـير من التفصيلات من حيث موقع المدينـة ، وتضاريسها ، وعدد أحيائها ، وطبيعة سكانهـا مع ذكر بعض العادات والأعراف التي كانوا يمارسونها[٣]، وفي اعتقادي أن هذه الدراسـات الخمس من البحوث المبكرة الجديدة التي وصلتنا عن حاضرة أبها على وجه الخصوص أو عن منطقة عسير على وجه العموم . خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) [٤] .

وهنـاك رحالـة إنجليـزي ، هوولفـرد ثسيجر ، جـاء إلى أبهـا في ستينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)[٥]. وتحـدث عن موقع مدينة أبها ،وبعض قلاعهـا ودكاكينها التجارية ، ثـم ذكـر بعض التفصيـلات عن حركة التجـارة في سوقها الأسبوعـي (الثلاثاء) وما شاهد فيه من بضائع وحركة تجارية ، فقال: "ويعقد سوق أبها يوم الثلاثاء ، وهو فريد

---

(١) للمزيد عن تاريخ وجغرافية وحضارة بلاد السراة ، أو السروات الممتدة من نجران إلى الطائف انظر: كتب وبحوث عديدة للدكتور غيثان بن جريس ، وهي منشورة ورقياً ، وإلكترونياً على موقعه (Prof-ghithan.com) .

(٢) الواسعي ، ص ١١١-١١٢ . انظر أيضاً

(٣) انظـر هاري سانت جون فلبي . مرتفعات الجزيـرة العربية (النسخة العربية) مراجعة وتقديم غيثان بن جريس (الرياض: مكتبـة العبيـكان، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ، ج١ ، صـ ١٤٩ومـا بعدها ، فـؤاد حمزة ، في بـلاد عسير (١٣٧٠هـ/١٩٥١م) ، صـ ١١٦-١٢٤ ، محمد عمر رفيع. في ربوع عسير (القاهرة ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) ، ص ٢٤ وما بعدهـا ، فيليب ليبنـز . رحلة استكشافية في وسط الجزيـرة العربية (الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ، ص ١٥ وما بعدها. ك . س . تويتشل ، المملكة العربية السعودية ، وتطورات مصادرها الطبيعية (القاهرة ، ١٩٥٥م) .

(٤) وفي هـذه الدراسات الخمـس تفصيلات تاريخية وحضارية عن مدينة أبها ، جغرافيتها وسكانها ، وصور من حياة أهلهـا الاجتماعيـة والاقتصادية . للمزيد انظر الكتب الآنف ذكرها في الحاشيـة السابقة ، وانظر أيضاً غيثان بن جريس ، أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) ، ص ١٨-٢٠ .

(٥) دون رحلتـه باللغة الإنجليزية ونشـرت في المجلة الجغرافية التي تصدرها الجمعية الجغرافية الملكية في لندن عام (١٣٦٧هـ/١٩٤٧م) ، ثـم ترجمها الدكتور أحمد الزيلعي ونشرها في مجلة الـدارة ، العدد (١) السنة (١٤) عام (١٤٠٨هـ /١٩٨٨م) ، ص ٩٣-١٢٣.

في ألوانه ، حيث تلبس النساء فيه فساتين زاهية الألوان ، ويضعن على رؤوسهن شيلاتاً براقة ، ويوجد من بين الأنواع الكثيرة من القبائل التي تهبط هذا السوق ، رجال من قبائل تهامة ، ونجديون في عباءات مصنوعة من وبر الجمال، وبدو من الصحاري العظيمة إلى الشرق ، ورجال من الجبال بثيابهم الفضفاضة المطرزة بأشغال الإبرة، ورؤوسهم المتوجة بعصائب من النباتات العطرية، وبينهم أيضاً زوار من اليمن ، وعبيد من خدم الأمير[١] . وتباع في هذا السوق ، وفي زاوية مفصولة عن الأخرى ، كل من الحبوب ، والزبدة، والسمن، والحطب، والملح، والموز، والجص أو البويات، والبن والعسل، والبهارات، والأواني الفخارية، والأدوات الحديدية، والحصر، والسلال، والحبال، والملابس، والجلود، والفاكهة، والأعشاب ذات الرائحة الذكية، والأعلاف، وقليل من الماشية"[٢] . كما تحدث عن أنواع المحاصيل الزراعية التي شاهدها في أبها وما حولها، وذكر بعض المعلومات عن المدرجات الزراعية والآبار وغيرها[٣] .

وبعد المصادر الآنفة الذكر ظهر عدد من الدراسات المتفاوتة الحجم من حيث الطول والقصر ، والشكل وطريقة العرض، ومن أهم تلك الدراسات مقالة بعنوان: "مدينة أبها" للشيخ/حمد الجاسر نشرت في جريدة الرياض بتاريخ (١٣/٢ / ١٣٨٥هـ) ، وقد ضمنها يحيى إبراهيم الألمعي في كتابه رحلات في عسير[٤] . وكتاب: **تاريخ عسير في الماضي والحاضر** للشيخ هاشم النعمي ، وهذا الكتاب به معلومات مختصرة جيدة عن تاريخ مدينة أبها وجغرافيتها مع ذكر أحيائها وعدد سكانها وبعض المنشآت الحكومية بها منذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري حتى العقد الثامن من القرن الرابع عشر الهجري[٥] . وكتاب: عسير لمحمود شاكر الذي أفرد أغلبه لتاريخ عسير السياسي والجغرافي ، لكن مدينة أبها كان لها نصيب في بضع صفحات اعتمد فيها على مؤلفات فؤاد حمزة ، ومحمد رفيع ، وهاشم النعمي فأشار إلى القلاع العسكرية التي كانت تحيط بمدينة أبها منذ عهد الأتراك، وذكر أهم أحياء مدينة أبها مثل: مناظر ، والمفتاحة ، والقرى ، ونعمان ، والربوع ، والبديع ، والخشع ، والنصب ، والقابل[٦] .

---

(١) يقصد أمير عسير أثناء زيارته أبها ، وكان تركي السديري . وهذا الأمير والأمير الذي قبله (عبدالله بن عسكر) يستحقان أن يفرد لهما كتابان أو رسالتان علميتان توثق تاريخهما وما قدما من خدمات من أجل توطيد الأمن والاستقرار في منطقة عسير .

(٢) رحلة ولفرد شيجر ، ص ٩٣ وما بعدها .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) انظر : كتاب الألمعي ، ص ١٦-١٩ . وفي هذا الكتاب مقالات جيدة وقصيرة أشارت إلى شيء من تاريخ وحضارة أبها وبعض النواحي في منطقة عسير .

(٥) هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص ٦-١٠ .

(٦) محمود شاكر ، عسير ، ص ٧٤-٧٥ . وهناك دراسات عديدة ظهرت بعد كتاب (محمود شاكر) وفيها الكثير من الجوانب التاريخية والحضارية لمدينة أبها ، مثل : كتاب: (أبها في التاريخ والأدب) لعلي أحمد آل عمر عسيري، ومجموعة مقالات للأستاذ عبد الله بن حميِّد جمعها ونشرها ابنه محمد بن عبدالله الحميِّد في كتاب بعنوان (أديب من عسير) . كما

وإذا كنا قد أشرنا إلى أهم وأغلب الدراسات المنشورة عن مدينة أبها جغرافياً وتاريخياً، فمن الأجدر أن نلقي الضوء على بعض الوثائق أو المذكرات غير المنشورة التي ناقشت طبيعة أبها وأهميتها، وخاصة منذ منتصف القرن الرابع عشر الهجري، ومنها مذكرات الأستاذ محمد أحمد أنور بمدينة الطائف في(١٥/١٢/١٤١٥هـ) التي تناقش (واقع مدينة أبها الجغرافي ، ومساحتها في أواخر الحكم العثماني وبداية الحكم السعودي الحالي (بصفته عاصر الحقبتين) ، وأشارت أيضاً إلى أسماء عدد من القرى والأرياف في بلاد عسير، وأهميتها كمركز إداري، وماذا كان يطلق عليها في عهد النفوذ التركي) [١] . فيقول الأستاذ / أنور: " لا أعدو الحقيقة إذا قلت كانت مساحة أبها (٣×٣) كيلومترات[٢] . من قرية النصب شرقاً إلى المفتاحة غرباً ومن قشاع جنوباً إلى شمسان شمالاً . والأحياء: مناظر ، والقرى ، ومقابل، والنصب ، والخشع ، والصفيح ، والمفتاحة ، وأم حمار ، وشعبة الحمار[٣] . وسكانها من قبيلة مفيد مع قليل من الوافدين من جيران أبها من قحطان ، وشهران، ورجال الحجر ، وغيرهم من القبائل المجاورة، وعناصر قليلة ممن تخلفوا بعد سفر الأتراك ، وطبقاتهم يوجد فيها نزعة عرقية في بعض البيوت التي كانت تتمتع بوجاهة أو لديها مال أو مناصب حل وعقد ولو في حدود ضيقة . والقرى المجاورة كانت تخضع لها خضوعاً تاماً ، أما في عهد الأتراك فالحرب سجال والعصيان يتوالى تباعاً هكذا ، ويروي لنا الذين اصطلوا بنارها وعاشوها أحقاباً طويلة ، وآخر حاكمين عثمانيين هما: سليمان باشا ، ومحيي الدين باشا أيضاً ، وذلك دليل على عدم الاستقرار ، وقد حصل مثل هذا في أول العهد السعودي ثم حسم حسماً باتاً وإلى غير رجعة . وكان يطلق على أبها في عهد الأتراك لقب "كشك" استنبول، ولا أعرف معنى كشك إلا أنهم يقولون معناه استنبول الصغيرة [٤] . وطبعاً القرى التابعة

يوجد هناك رسالة ماجستير لمحفوظ بن سعيد الزهراني ، عنوانها: تحصينات أبها خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) (دراسة حضارية) ، صدرت من قسم التاريخ . بجامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ، ويجود فيها تفصيلات جيدة عن القلاع القديمة الموجودة في مدينة أبها وما حولها .

(١) لقد اتصلت بالأستاذ محمد أنور في مقر إقامته بالطائف وطلبت منه أن يدون لنا ما عرفه عن أشياء كثيرة في منطقة عسير ، فكتب لنا حوالي (١١) مدونة أو رسالة ، ومجموع صفحاتها تزيد عن (١٢٠-١٤٠) صفحة وقد نشرتها في الجزء الأول من كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الأول) (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ص ٢٢-٢٥٣ ، وكتاب: من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية (محمد أحمد أنور) . وصدر في طبعتين (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) ، (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) ، ص ٣٤٣-٥١٤ .

(٢) كلام أنور يعود إلى الفترة الممتدة من الخمسينيات إلى السبعينيات من القرن الهجري الماضي .

(٣) عند مجيء الأمير خالد الفيصل إلى إمارة عسير في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) تغير اسم هذا الحي ، أو الشعبة إلى (حي لبنان) .

(٤) كما أورد هذا التفسير الشيخ عبدالمالك الطرابلسي الذي أسس عدداً من المدارس الحديثة في منطقة عسير في خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، انظر مذكراته وسيرته الذاتية . غيثان بن جريس تاريخ التعليم في منطقة عسير ، (الجزء الأول) ، ص ٢١٧ ، للمؤلف نفسه ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج١ ، ص ٤٣٥-٤٦١ .

لأبهـا هي التي تمدهـا بمستلزماتهـا من الحبـوب والأغنام والسمـن والحطب وجميع متطلبـات الحياة ، إلا المـاء فإنه كان يعبر الوادي في صورة نهـر صغير ولا ينقطع طيلة السنـة، وأحيانـاً يمنـع الناس العبور ، ومـن أجل ذلك عمل (الجسـر) في عهد محيى الدين باشا، حتى لا يمنع مرور المتسوقين ويحبسهم عن الرجوع إلى قراهم .." [١] .

ولدينا معلومات حول النقاط نفسها التي أجابنا عليها الأستاذ/ أنور وهي من رجل آخـر من منطقة عسير ، يتميز بقوة الحافظة ، ولطف المعاشرة ، ألا وهو الأستاذ يحيى بـن حسـن بن مستور[٢] ، فكتب لنـا مذكرة طويلة ، عن مدينة أبهـا ، تتحدث صفحاتها الأولى عن جغرافية مدينة أبها خلال الأربعة العقود الأخيرة من القرن الهجري الماضي، مـع إضفاء تفصيلات دقيقة عن أحياء المدينة آنذاك ، وعن جوانب تاريخية وحضارية أخـرى كانـت تتميز بها أبهـا . ولكون الأستـاذ / ابن مستور ثقة في روايتـه ، ودقيقاً في أقوالـه ، رأينـا أن نورد هذه الصفحات كما هي ، ونسمـع من صاحب الرواية الذي دون معلوماتـه نتيجة للخبرة والمشاهدة لأنـه عاصر وعاش مع أهل أبها منذ منتصف القرن الرابـع عشر الهجـري ، فيقول: " تنتشر أحيـاء مدينة أبها على مجموعـة من الروابي والمرتفعات متوسطة الارتفاع ، ويتخللها عدد من الشعاب والأودية الصغيرة التي تصب جميعهـا في وادي أبهـا الرئيسي ، وهو يخـترق المدينة آتياً من الحجـاز ثم يعبر المدينة بشـكل متعـرج فيقع حي المفتاحة على ضفـاف الوادي المسمى الـوادي الأعلى في غربي المدينة وتنتشر الأحياء ، في أرجاء المدينة على النحو التالي :

١ـ حـي المفتاحـة : يقـع غربي المدينة علـى ضفاف وادي أبها الجنوبـي ، وبه ما يقرب مـن عشرين داراً متعددة الأدوار، والدار الواحدة تستوعب أكـثر من أسرة ، ويتخللها شارع رئيسـي واحد نافذ يتجه من الشرق إلى الغـرب ، ويتفرع منه أزقة متعرجة تتصل بالمنازل ، وتؤدي إلى المزارع ، وفي وسط الحي مسجد وتحيط بها البساتين والزروع من الجهات الأربع. والمـزارع تخصص عادة لزراعة الحبوب شتاءً وصيفاً . ويشكل منظر الزروع وقت الثمار مع منظر البساتين شكلاً في غاية الجمال ، وتنتشر الآبار وسط المزارع لسقي المزارع والبساتين، وهي أيضاً مصدر سقي للدور بما يجلبه النسوة من الآبار القريبة من الحي [٣] .

---

(١) انظـر: كتـاب القول المكتوب في تاريخ الجنـوب ، ج١، ص ١٧٨ـ ١٧٩، ١٩٢ـ ١٩٣ ، للمؤلـف نفسه ، من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية (محمد أحمد أنور) ، ص ٤٨٧ ـ ٤٨٨ .

(٢) انظـر: ترجمـة للأستاذ يحيى بن مستور ، غيثان بن جريس . أبها حاضرة عسير ، (ط١، ط٢) ، ص ٨٠ ، حاشية (٣٦). والأستـاذ يحيى اليـوم يعاني من بعض الأمراض وقد حاولت زيارته مرات عديدة لكن أفراد أسرته يقولون إن حالته الصحية لا تمكنه من مقابلة أحد ، فأسأل الله في هذه الساعة أن يلطف به ويعافيه ، ويرزقه الشهادة إذا حضرت الوفاة ، وأن يرزقه الجنة بعد الممات . حررت هذه الملحوظة في (٢٠/١٠/١٤٤٠هـ)

(٣) انظـر: غيثـان بن جريس ، أبهـا حاضرة عسير ، صـ ٢٣، ٨٠، ٨١ . وحي المفتاحة اليوم يوجـد فيه بعض العمائر الخاصـة الحديثـة ، ومازالت آثار بعض البيـوت القديمة المهدمة ماثلة للعيان ، ويقـام في أجزاء من هذه الناحية بعـض المهرجانـات الفصليـة وبخاصة في الصيـف، ويوجد فيه أيضـاً بعض الدكاكين المخصصـة لبعض الحرف اليدوية ، وبعض المهارات العلمية مثل الفنون التشكيلية وغيرها .

٢- حي القرى : المقام حالياً محله مباني المجمع الحكومي ويوالي حي المفتاحة شرقاً ، وتنتشر فيه المنازل متعددة الطوابق ويمتد من الشمال إلى الجنوب ، ويفصله عن المزارع شعب (عتود) ، وهو واد صغير يصب في وادي أبها ، ثم تأتي بعده المزارع والبساتين المتصلة بحي المفتاحة . وحي القرى يقع على مرتفع من الأرض في شكل ربوة، يمتد على جهته الشرقية ساحة البحار الموجودة حالياً أمام مبنى الإمارة[١] ، وشرقي المجمع الحكومي ، ويشكل منظر المنازل في تناسقها وإطلالها على ساحة البحار شرقاً والمزارع والبساتين غرباً منظراً يضفي عليه لمحة من الجمال ، ويواليه شمالاً مجرى وادي أبها بمياهه المتدفقة طوال أيام السنة ، وكان يتخلل حي القرى خمسة شوارع هامة تمتد من الشرق إلى الغرب ، يربط بينهما شارع طولي يمتد من الجنوب إلى الشمال، وتحيط به ساحة البحار شرقاً ، والمزارع غرباً ، ويتوسطه عدد من الساحات كانت تسمى (البسطة) يستعملونها مقراً عند توافد الضيوف لاستقبالهم بشكل جماعي في الساحات ومن ثم توزيع ضيوفهم على أشخاص معينين بموجب جدول عن طريق من يسمونه (بالمدول). ويتوسط الحي ثلاثة مساجد [٢] .

٣- حي محلة مناظر : وتقع معظم منازله على ربوة في الجانب الجنوبي من الحي بأرض شبه منبسطة شمالاً ، حتى وادي أبها ، وشمال شرقي بشكل هلالي على هيئة نصف دائرة ، وتنتشر المنازل على هذه الأرض بصورة متناسقة . والبيوت مكونة من طابق إلى ثلاثة طوابق وتقارب أربعمائة بيت ، ويتوسطها ساحتان: إحداهما صغيرة ذات مساحة متوسطة تسمى (الحضرة) تحيط بها الدور ، ويصب فيها ثلاثة شوارع اثنان منها نافذان والثالث غير نافذ . أما الساحة الثانية فهي واسعة وتسمى ساحة (البديع) ويفصل بين الساحتين مسجد مناظر ، وهو من المساجد الكبيرة . وينفذ في ساحة البديع شارع رئيسي يعتبر إقليمياً وهو مدخل أبها الشمالي ، مخرج المسافر والقادم من بلاد بني مالك ، ورجال الحجر ، وللقادم من الحجاز " مكة المكرمة " ، كما ينفذ إليها أيضاً ، شارعان آخران (داخلية) وثالث نافذ إلى طرف الحي الجنوبي ، وتحيط بالحي المزارع والبساتين من الجنوب والشرق والشمال[٣].

---

(١) سوف يكون لنا بعض التفصيلات عن ساحة البحار في صفحات تالية من هذا المحور . وآمل أن نرى مؤرخاً أو باحثاً جاداً فيدرس بدايات ساحة البحار ، والأحداث التاريخية والحضارية التي جرت في هذه الساحة خلال القرنين الماضيين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) .

(٢) سمعت من بعض الرواة الأوائل ، أن حي القرى كان أرقى الأحياء في أبها خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وربما سمي القرى لوجوده على ربوة وسط البلد . وهذا الحي اليوم تشقه الشوارع من جهات عديدة ، ومازالت أبنية المجمع الحكومي ماثلة للعيان ، وأخبرنا سمو أمير المنطقة (تركي ابن طلال) في منتصف شهر رجب (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) أنهم سوف يبدأون في إزالتها قريباً وتخطيطها تخطيطاً عمرانياً حديثاً .

(٣) حي مناظر القديم هو الذي توجد فيه اليوم أسواق الجمعية ، وأسواق الحناوي ، وسوق الذهب ومبنى جمعية البر ، وتوجد في ناحيته الغربية مبنى إمارة عسير الرئيسية . ويذكر أن هذه الناحية كانت مقر الإمارة في القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وكان يوجد في هذه الناحية قصر شدا الذي بناه آل عائض ثم هدم وبنى الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة قصراً سمي بـ (القصر الأبيض) ونجد في الوثائق أن الملك عبدالعزيز أرسل إلى أبي ملحة خطاباً يذكر فيه

٤. ساحة سوق الثلاثاء[١]: هي فضاء واسع تحيط به المباني من جهاته الأربع ، وهو سوق المنطقة الرئيسي يقع غرب حي مناظر ، وينفذ إليه من حي مناظر خمسة شوارع اثنان رئيسيان . ينفذ الأول إلى عشرات القرى الواقعة شمال المدينة بدءاً بقرى بلاد بني مالك عسير، ثم قرى رجال الحجر ، إلى آخر المنظومة المعروفة غامد وزهران فالطائف . أما الثاني فهو مدخل مئات القرى الواقعة جنوب وشرقي أبها بدءاً من قرى الشرف ، ثم آل سرحان ، وآل يزيد ، وعضاضة ، والمسقي ، وتمنية ، فبلاد رفيدة ، ثم سنحان وشريف، ووادعة إلى ظهران جنوباً. وخميس شهران وماوالاه من قرى وادي شهران إلى بيشة شرقاً. وما بين الشرق والجنوب بدءاً من قاعدة ناهس بعد تندحة مروراً بالمضة والصبيخة، إلى تثليث. كذلك محائل وما يتبعه ويحيط به ، والشعبين وما يتصل به ويتبعه غرب شمالي أبها ، وماقبلها مما يلي أبها من بلاد علكم ، وقرى ربيعة ورفيدة ، وما يحيط بأبها من ضواحي : كمشيع ، والعرين ، ورضف ، والأشراف ، والعثربان ، والعلاية [٢] .

٥. حي نعمان والربوع : يقعان شمالي ساحة السوق . ويحيط بهما منعطف وادي أبها في شكل نصف دائرة من الشمال والغرب وحي نعمان يقع على ربوة متوسطة الارتفاع ؛ وحي الربوع في منبسط من الأرض. ويوجد بينهما وبين مجرى الوادي حقول زراعية تزرع صيفاً وشتاءً بالحبوب ، وتتخللها أشجار البساتين الخضراء المتناثرة في جنباتها ، ويتوسطها عدد من الآبار ذات المياه العذبة . فبئر نعمان تروي أهالي الحي بما يجلبونه للمنازل من المياه طيلة النهار . فالنساء يردن هذه البئر على مدار الساعة طيلة النهار ، ولا تكاد تنقطع أرتالهن ، وهن ذاهبات آيبات ، زرافات ووحداناً ، شأنهن في ذلك شأن ربات حي القرى اللاتي يترددن هن الأخريات على بئر (عتود) . كذلك الحال بالنسبة لنساء حي مناظر اللاتي يردن بئر

التعويض المالي في هذا القصر ويكون مقراً للأمير والإمارة في العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ومازال هذا القصر واضحاً للعيان حتى الآن . وفي مكان هذا القصر أو على مقربة منه كان هناك مكان يسمى (رأس ملح) ، ولا ندري لماذا سمي بهذا الاسم ، لكن الأستاذ أحمد مطاعن ذكر لي في شهر شعبان عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) أنه يعتقد أن اسمه (راس مُلح) بضم الميم ، لأنه كان يجلس في هذا المكان بعض النساء الجميلات ، فسمي بهذا الاسم ، ومن الصعب نفي أو تأييد هذا القول إلا بعد دراسته دراسة دقيقة ومستفيضة .

(١) هذا السوق يحتاج إلى دراسات تاريخية رصينة وعميقة ، وأقول إن السوق الشعبي في مدينة أبها يعود إلى الوراء مئات السنين ، وليس مرتبطاً بتاريخ (١٢٤٢هـ/١٨٢٦م) عندما أصبحت أبها مقراً إدارياً وسياسياً للأمير علي بن مجثل المغيدي . والسبب الذي جعلني أجزم بهذا القول هو الاستيطان البشري القديم على ضفاف وادي أبها ، ثم الثراء الطبيعي الذي يتمتع به هذا الوادي من مياه ومزارع وحياة رعوية واقتصادية وغيرها.

(٢) غفر الله لك يا يحيى بن مستور فلقد دونت لإخوانك وأبنائك وأحفادك من بلاد أبها وما حولها من منطقة عسير معلومات جيدة وتستحق أن تبسط وتدرس في عدد من الكتب والبحوث العلمية ، ونأمل أن نرى من يقوم بذلك من المؤرخين والباحثين العسيريين الجادين .

(الحِلة) الواقعة شمالي مناظر. وينطبق نفس الوضع على كافة الأحياء ، فلكل حي بئرٌ معينة تردها النسوة لحمل الماء إلى منازل أحياء أبها المتناثرة [١] . وتشكل طبيعة الموقعين (حي نعمان والربوع) الصورة التالية :

أ- حي الربوع : هو شارع مستطيل يتجه من شمالي ساحة السوق حتى ينفذ في مجرى الوادي ، ويرتبط مع حي القابل بجسر يعبر عليه المارة ، وهذا الجسر مصنوع من الحجر والجص . وعلى جانبي هذا الشارع يقع حي الربوع. ويبلغ طوله حوالي كيلومتر. ويتفرع منه شارعان. **الأول**، في بدايته مما يلي السوق ، **والثاني** في نهايته . ويصبان في حي نعمان . وفيه ساحة صغيرة إلى حد ما ويقال إنه سمي بـ (الربوع) ، ربما لأن الوافدين إلى السوق الرئيسي ، والذين يتخلفون عن سوق الثلاثاء ، يتخذون منه مكاناً لعرض سلعهم المجلوبة ، وهو قريب من ساحة السوق ، ومتصل بها ويصب فيها ، الأمر الذي يحتمل أن ما قيل قريب من الواقع [٢] .

ب- حي نعمان : تنتشر دوره على ربوة متوسطة الارتفاع (كما سبق القول) ممتدة في منحدرات هذه الربوة ، ويمتد طرفه الجنوبي إلى منازل حي القرى ، ويتصل حي الربوع من الجهة الشرقية بحي مناظر ، وساحتي السوق والبحار عنه جنوباً، وبه ميدان فسيح يتخلله شوارع طولية وعرضية ، منها ما هو نافذ . ومنها ما هو غير نافذ ، وبه مسجد ، وللحي عمدة، ينظم شؤون أصحاب الحي ، ويتعاون مع الشرطة فيما يتعلق بالشؤون الأمنية [٣] .

٦- ساحة البحار: أكبر ساحة في المدينة تقرب مساحتها من كيلو متر مربع ، وتقع في وسط المدينة غربي ساحة السوق، وبين الساحتين يرتفع في شموخ قصور الإمارة ، وكان بجانبها مبنى البرق، وقيادة منطقة الدفاع[٤]. إبان وجودها في المنطقة، وتقام فيها الحفلات الموسمية في الأعياد ، وعند قدوم أحد المسؤولين الكبار من موظفي

---

(١) حبذا أن نرى من طالباتنا وطلابنا في برامج الدراسات العليا بقسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الملك خالد من يقوم بدراسة وسط أبها خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ويفصل الحديث عن طبوغرافية هذه المنطقة مع ذكر مصادر المياه فيها ، وحياة الناس العامة الذين كانوا يعيشون في هذه الأحياء المركزية وسط بلدة أبها ، وهذا الموضوع جدير أن يصدر في كتاب أو رسالة علمية .

(٢) للأسف إن هذه المعالم التاريخية وسط مدينة أبها قد أزيلت وحل محلها أبنية جديدة بالحديد والإسمنت ، وكان الأجدر أن يحافظوا على هذه المعالم وترمم حتى تكون وجهة حضارية لأهل المنطقة ومن وفد إليها من السواح والزوار وغيرهم .

(٣) نحن في أمس الحاجة إلى معرفة تاريخ هذه الأحياء القديمة وحياة الناس العامة والخصة فيها خلال القرن . (١٤هـ/٢٠م) .

(٤) إن موضوع المدرسة الحربية أو قيادة الدفاع في أبها خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس حبذا أن نرى باحثاً أو طالباً من طلاب الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيدرسه في رسالة ماجستير ، وهو جدير بالبحث والدراسة .

الدولة، فيشترك فيه منسوبو الجيش ، والشرطة وطلاب المدارس، وأهالي المدينة برقصاتهم ومهرجاناتهم المختلفة[١] ، كما تقام في هذه الساحة مباريات الكرة للنادي الرياضي الثقافي الذي تشكل في المدينة خلال الثمانينيات من القرن الهجري الماضي ويطل عليها من الجهة الغربية حي القرى . وقد أوصى مخطط المدينة ، المهندس/ محمد بن نايف ، بضرورة إيقاف هذه الساحة على ما هي عليه ، مخصصة للحفلات العامة والاستقبالات ، وقد تم ذلك وأنزلت في مخطط المدينة الحديث لهذه الغاية ، وجددت قصور الإمارة ، وحل محل حي القرى المجمع الحكومي[٢] . وأصبحت الساحة موقفاً للسيارات في الأيام العادية ، ومحلاً للحفلات والاستقبالات عند الضرورة [٣] .

٧- حي الخشع : يقع على شريط من الأرض ، يحاذي جزءاً من وادي الخشع ، تمتد منازله من الشمال إلى الجنوب على مساحة من الأرض تقرب من كيلو في نصف كيلو ويفصل بينه وبين مجرى الوادي مزارع على استطالة الحي ، منها ما هو لزراعة الحبوب والخضر الموسمية ، ويتوسطها بساتين أسرة آل الغماز المشهورة بأشجارها المثمرة والمتنوعة ، وهذه الأسرة لها من الجهود الكبيرة ، والرغبة الشديدة ، في إيجاد البساتين والاهتمام بها ورعايتها ما جعل من بساتينهم بهجة للناظرين ، لما تحويه من أشجار كثيرة ، وثمار يانعة ، ومياه جارية ، وتكثر آبار المياه وسط الحقول والبساتين ويقع جبل الخشع شرقي الدور، ويرتفع بشكل متدرج ، مما جعل التوسع بإقامة دور حديثة عليه ميسوراً ، فارتفاع الجبل المتدرج خلف المنازل ، ثم امتداد البيوت على طول الشريط السالف ذكره ، وإطلالها على البساتين وحقول المزارع غرباً ، واختراق مجرى وادي الخشع، لحقول وبساتين أهالي الخشع ومزارع الطبجية ، يجعل منظر الحي أخاذاً ، لاسيما بعد العصر، إذا جلس الناس في دورهم وقلّبوا النظر فيما يحيط بهم

---

(١) ساحة البحار قديمة وربما تعود إلى القرن (١٣هـ/١٩م) ، لكنها اشتهرت في عصر الدولة السعودية الحديثة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر ، وجرى فيها الكثير من الأنشطة المتنوعة ، وجرى عليها أيضاً العديد من الإصلاحات والمنشآت المعمارية ، وهذا الموضوع يستحق أن يكون عنواناً لبحث أو سالة علمية ، نأمل أن نرى باحثاً يتولاه بالرصد والتوثيق .

(٢) مازالت أبنية المجمع الحكومي ماثلة للعيان أثناء تدوين هذه السطور في نهاية شهر شعبان عام (١٤٤٠هـ /٢٠١٩م) ، وقد صدر قرار المقام السامي وموافقة وزارة المالية على إزالتها، واستبدالها ببعض المشاريع الحديثة ، والأبنية الموجودة حالياً يتراوح ارتفاعها من الطابقين إلى ثلاثة وأحياناً أربعة طوابق ، وكان فيها معظم المؤسسات الإدارية مثل: إدارة المالية ، وإدارة تعليم البنين والبنات ، وإدارة البلدية ، والعدل ، والشؤون الاجتماعية ، والطرق وغيرها . المصدر : معاصرة الباحث ومشاهداته .

(٣) المصدر: مذكرة من الأستاذ يحيى بن حسن مستور ، وأصلها موجود في مكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية ، كما نشرت الكثير من مذكرات ابن مستور في بعض مؤلفاتي مثل: تاريخ التعليم ، الجزء الأول ، وكتاب : أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) ، ودراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية (جزءان في مجلد واحد) .

مـن بساتين مع مغيب الشمس وهي ترسـل أشعتها الذهبية[١]. فتشكل ما يشبه الخيوط الحريرية ، وهي تنظم أغصان الشجر . ويوجد بالحي مسجد وميدان عام [٢] .

٨ - **حي النصب:** يحتضنه جبلان أحدها شرقي ، والثاني جنوبي ، وتشكل منازله مجموعة مـن المباني المتصلة بعضها ببعض، ولضيـق الأرض الصالحة للبناء به فلا يوجد به إلا حوالي ثلاثين بيتاً . وبالحي قصور آل بن مفرح ، مشائخ بني مغيد، وآل بن نمشة ، آباؤهم من أعيان بنـي مغيـد ، ومن ذوي الشأن فيهم ، ويـدل على ذلك قصورهم ومزارعهـم الكثيرة . ويتخلل الحـي شـارع نافذ ، وممرات مشاة تؤدي إلى المزارع ، ويحيط به وادي أبها من الشمال، وبعده مباشـرة عـدد من المزارع والبساتـين الخاصة بالحي. ورغم قلة منازلهـم فمزارعهم الواقعة خلـف الـوادي كثيرة حيث تقع على منعطف من الوادي علـى مساحة تقرب من (كيلين) طولاً في نصف كيلو عرضاً ، وبها عشرات القطع ، يتخللها مجموعة من الآبار المتناثرة بين المزارع ، وهي من أغنـي البلاد بالمحصول كالحبوب والفواكه والخضر. ويوجد بالحي مسجد . وعلمت أنـه كان يوجد بـه مدرسة (كُتاب) في أوائل الخمسينيات ، مـن القرن الهجري الماضي، قبل افتتاح المدارس الحكومية والنظامية [٣] .

٩- **حـي القابـل :** يقع غرب المدينة الشمالي بين مجـرى وادي أبها وأحد روافده ، وادي ضباعـة ، ويقع في مربـع من الأرض منبسط ، يحيط به شـارع من جهاته الأربع، ويتوسطـه ساحـة عامـة ومسجـد ، وعلـى امتداده مـن الشـرق . بمحـاذاة وادي أبها تمتـد حقول المـزارع والبساتين التـي تتخللها الآبـار ، وهذه القطع الزراعيـة من أجود الأراضـي ، وتـزرع بالحبوب صيفـاً وشتاءً ، وبها عـدد من البساتـين والأشجار المثمرة المتناثـرة هنـا وهنـاك[٤] ، كمـا يوجد في أعلـى وادي ضباعـة ، من جهة حـي القابل ،

---

(١) غفـر الله لـك يـا ابـن مستور لقـد حفظت لنـا شيئاً يسـيراً عن حياة سـكان أبهـا في النصف الثاني مـن القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وللأسـف إن الذين قاموا على تطوير مدينة أبها في نهايـة القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢١م) من مهندسين ، وإدارات ، وصناع قرار لم يكونوا موفقين عندما قضوا على ذلك الموروث الحضاري الجميل في طبيعة الأرض وما وجد عليها من العمران . ومظاهر الحضارة القديمة التي عاشها الآباء والأجداد.

(٢) يـا أستـاذ ابن مستور لقد رأيت بعض المعـالم الحضارية القديمة ليس في أبها ، ولكن في قرى وبلدات ونواح عديدة في منطقة عسير منذ بداية التسعينيات ، ثم وصلتها عملية الدمار والطمس بدعوى التنمية والتطوير ، وبهذا العمل تم القضاء على صفحات من تاريخ بلادنا خلال القرون الهجرية الماضية ، وأرجو من الإدارات المعنية بالتطوير في أنحاء المملكة العربية السعودية أن تعي أهمية الموروث الحضاري والتاريخي فتحافظ عليه أثناء القيام بأعمالها .

(٣) شكـر الله لـك يا أستـاذ يحيى بن مستور على هذا التوثيـق. ومازالت الكثير من القطـع الزراعية في حي النُصب وما حوله ، لكنها للأسف غير مخدومة ، وأكثرها أصبح مهجوراً ، وموقع هذا الحي وما يحيط به من بلاد زراعية يستحـق العناية والتنسيق والتطوير مع الحفاظ على ما بقي فيه من معالم تاريخية وحضارية ، وهذا النداء أوجهه إلى إمارة وأمانة منطقة عسير، ومازال في مدينة أبها معالم قديمة وهي جديرة بالرعاية والحماية .

(٤) أيضـاً حي القابـل مازلنا نشاهد بعض البساتين والـزروع الموجودة في بعض جوانبه ، وهـو الآخر يستحق الرعاية والحفاظ على ما تبقى من بيئته النباتية والزراعية .

مـزارع وبساتين وعـدد من المنازل المحـدودة. واستمرار جريان ينابيـع الماء (غيل) في الـوادي علـى مدار السنة ، يجعل المـاء في الآبار مستقراً . وعلى جانبـي الوادي بساتين مخضـرة ، ومـزارع كثيرة المحاصيـل[١] . ويوجد بحي القابل أطـلال قصر كان يسكنه متصـرف لـواء عسير التركي . أيـام الدولة العثمانيـة ، قبل العهد السعـودي الزاهر، ويوجـد بجانبـه بساتـين علـى امتداد طـرف وادي أبهـا الغربـي ، ولعلها كانـت تابعة للقصـر في العهـد السابـق ، وأعتقـد أن ملكيتهـا آلـت في الحقبة الأخـيرة لآل عائض (أمـراء عسـير السابقـين)[٢] . وعلى امتـداد وادي ضباعة من جهتـه الشمالية ، تقع علـى جانبية عدد من المنازل والمـزارع والبساتين التي تشكل مع مجـرى الوادي منظراً جميلاً ، يقضي الأهالي بعضاً من أوقاتهم به للتنزه والاستمتاع بمناظر المياه والبساتين، والخروج إلى الهواء الطلق بعيداً عن الدور. ويفصل محلة القابل عن وسط المدينة وادي أبهـا ومع نـزول الأمطار وتدفق السيول ، ثم الينابيع التـي يستمر جريانها عدة شهور ، فإنـه يربطه بالمدينـة (جسر) تأسس في عهـد الدولة العثمانية ، منـذ أكثر من ثمانين سنة، يربط حي القابل والصفيح بوسط المدينة[٣] .

١٠ـ حـي الصفيـح : تقع منازله على جانـب وادي ضباعة الشمالي ، بمنخفض بين الـوادي وسفـح جبل متوسـط الارتفاع شمالي المنـازل. وتمتد المساكن حتـى تقابل حي القابـل ، ويفصل بينها مجرى وادي ضباعة ، والمزارع والبساتين والحقول تحيط بالحي من جهتيه الجنوبية والغربية ، وبه عدد من البيوت ، يخترقها شارع رئيسي وأزقة مشاة متعرجـة ، وبه مسجـد ، ومساكنه أقل أحيـاء أبها عدداً ، ويفصل بـين هذا الحي وبين وادي أبهـا وادي ضباعة ، ثـم مزارع القابل . لهذا فهم يدخلـون إلى المدينة عن طريق أبهـا الإقليمـي الشمالي المؤدي إلى بلاد بني مالك فرجـال الحجر والطائف ، وذلك في

---

(١) وادي ضباعـة أحـد روافـد وادي أبهـا ، ومازال يوجد على ضفافـه بعض المنازل القديمة ، ويوجـد فيه الكثير من الأشجار والنباتات ، مع أنه أصابه الكثير من الإهمال، كما جرى لباقي الأودية في عموم منطقة عسير. وللأسف إن الإدارات المعنيـة بتطوير مدينة أبها وعلى رأسها الأمانة سعت إلى رصف الأودية بالخرسانة المسلحة، وبهذا العمل قضـوا على الكثير من الثروة النباتية والحيوانية ، وأصبحت هذه الأودية جرداء قاحلة ، وهم بهذا العمل يقعون في أخطاء جسيمة ، وسوف يكون لها آثار كبيرة على المياه الجوفية وعلى جغرافية الأرض الطبيعية ، وأرجو من صناع القـرار في وزارة البلديـات ، أو الإمارات وغيرها أن يلتفتوا إلى هذه الأخطاء الفادحة ، فما يقومون به يعتقدون أنه إيجابي ويصب في مصلحة البلاد والعباد، والواقع عكس ما يعتقدون ويعملون .

(٢) حبذا أنه تم الحفاظ على هذه المعالم التاريخية الحضارية التي تعكس صورة من تاريخ بلاد عسير وأبها في القرون الهجرية الماضية .

(٣) للأسـف مـن ينظـر الآن إلى وادي أبها قريباً من أحياء القابل ، والمفتاحة ، والقـرى ، والربوع ، والبديع ، ونعمان، ومناظـر فإنـه يراه مرصوفـاً بالخرسانة المسلحة ، وبالتـالي تم القضاء على الكثير من معالمـه التاريخية وطبيعته الجغرافيـة التـي يذكر لنا ابن مستور شيئاً منهـا ، وما جرى لهذا الوادي من تدمير خـلال العشرين سنة الماضية كانت من الأخطاء الكبيرة التي وقعت فيها المؤسسات الإدارية المعنية بتطوير هذه الحاضرة العسيرية.

حالـة توقف الأمطار والسيول ، أما في حالة جريـان السيول فيدخلون إلى وسط المدينة عن طريق جسر القابل . وسكان الصفيح يمتهنون الزراعة ، واقتناء الماشية ، شأنهم في ذلك شأن أهل حي القابل والمفتاحة والنصب الواقعة في أطراف أبها[١] .

هـذا وصف شبه تفصيلي لمدينة أبها وأحيائها أمـا الضواحي فيحيط بها ما يأتي: **(أ) قـرى الأشـراف :** مـن ناحيتها الجنوبيـة ، وهي قرى الحصـن الأعلى ، والحصن الأسفـل ، والعمـارات وآل منسـم وآل بالفلاح والهضبة. **(ب) ضواحـي بني جعفري :** بفرعيها ضواحي مشيع شرقاً وضواحي رضف شمالاً ، وتتكون ضواحي مشيع من الهيلة، ومشيـع الأعلـى والأسفل، وخلفـه مباشرة ضواحـي العرين وبقية بنـي جعفري شمالي أبهـا وهـي رضف الأعلى والأسفـل والمشبَّه . وتقع ضواحي العثربـان والعلاية في الجهة الجنوبيـة الغربية للمدينة ثم يأتي بعد مدينة أبها مـن الجهات الأربع عشرات القرى ، مـن شهـران ، وبني مغيد ، وعلكم ، وربيعة ورفيـدة . وكانت هذه الضواحي والقرى تمد أبها بحاجتها اليومية والأسبوعية والموسمية من الحبوب والفواكه والخضروات والسمن والألبـان والمواشي بأنواعها المختلفة من جمال وحمير . وكانت هذه الدواب تستعمل قبل السيارات للتنقـل ونقل البضائع وحمل ما يحتاج إليه الناس من وقود كالحطب والفحم وأعـلاف للماشية . والأنعـام المتواجدة بأعداد كبيرة في المنطقـة ، والمنتشرة في قراها فيندر أن تجد بيتاً خالياً منها لارتباطها بمصالح الناس ، فالدواب من أجل المواصلات، والأبقار للحرث والزرع وكمصدر للحليب والألبان والسمن وكذلك الأغنام [٢] .

والسعي طلباً للرزق غاية كل مخلوق ، وهذا منسجم مع قول الله جل شأنه (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) والموظفون في أبها قلائل فلا يتجاوز عددهم العشرات ، وجلهم من نجد كأخوياء الإمارة ، ومن الحجاز - مكة المكرمة - كموظفي المالية وضباط الشرطة والدفاع[٣] . كما أن عدد التجار محدود ، فالناس في صراع مستمر مع

---

(١) كانـت الزراعـة وتربية الماشية من المهـن الرئيسية التي يمارسها سكان مدينة أبها بـل عموم منطقة عسير خلال القرون الإسلامية المختلفة . وفي الأربعين سنة الأخيرة ترك الناس هاتين المهنتين واشتغلوا في اعمال حكومية ومهن أخـرى . وهـذا التحول الحضاري في عموم بلاد تهامة والسروات موضوع كبير يستحق أن يدرس في عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية .

(٢) تاريخ الحياة الإدارية الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية في مدينة أبها منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى بداية القـرن (١٥هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس في هيئة كتـاب أو دراسة علمية ونأمل أن نرى باحثاً جـاداً يدرس هذا الموضوع دراسة علمية موثقة . ومن يعمل ذلك فسوف يجد الكثير من الرواة الذين يخدمون هذا الموضوع ، كما يوجد هنا الكثير من الأوراق والوثائق والمعالم الجغرافية التي مازالت ماثلة للعيان حتى اليوم .

(٣) إن التركيبـة السكانية لمدينة أبهـا وما حولها خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) موضوع جديد لم يدرس إطلاقاً ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب علمي يرصد فئات الناس وطبقاتهم ، وما جرى على التركيبة السكانية من تغيرات ، وكيف أثرت الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية في التشكيل البشري لهذه الحاضرة.

الأرض، لاستدرار خيراتها باستخراج المياه واستنبات الزروع والأشجار ، ونتيجة لهذا أصبح المجتمع في مدينة أبها وما حولها من قرى وأرياف على هيئة فئات كالتالي : **(أ)** فئة أصحاب المزارع وملاك الأراضي يجندون كافة الأسر ، من كبار وصغار كل في حقل عمله وفي حدود استطاعته ، يساعدهم من العمال العدد المناسب، حسب مقتضى الحال، بإيجارات دورية أو موسمية ، وحتى النسوة يكابدن ما يكابد الرجال من الأعمال الشاقة ، وخاصة داخل المنزل من خدمات منوعة ، كطحن الحبوب، وتحضير الوجبات، والعناية بالماشية كحلبها ، وتجهيز اللبن ، واستخلاص الزبد تم تحويله إلى سمن ، ورعاية الأولاد، وجلب الماء من الآبار ، وقد يساهمن في بعض الأعمال الزراعية الشاقة عند الضرورة القصوى . وهذه الفئة ربما تشكل (٥٠٪) من المجتمع ، وهم أرباب الشأن في تحريك الأمور، ولهم مكانتهم في إدارة دفة ما يطرأ من أمور قبلية أو عشائرية[١] . **(ب)** فئة التجار ، وهم من الفئة الأولى ، فتجدهم يعملون في التجارة والزراعة معاً ، وأحياناً لا يمتهنون إلا التجارة في سلعة معينة أو سلع مختلفة. **(ج)** فئة البدو (نقالة عمود) حسب العرف المحلي ، ليس لاستقرارهم بلد معين أو قرية معلومة ، وإن كانوا ينتمون لقبيلة معينة من قبائل عسير الأربع (بني مغيد ، وعلكم ، وربيعة ورفيدة ، وبني مالك) ، أو قحطان ، أو شهران أو رجال الحجر ، يلتحفون السماء ويفترشون الغبراء الأولى تظلهم والثانية تقلهم ، ويتابعون التنقلات ، فينتشرون في أطراف المنطقة المترامية ، يجوبون جهاتها الأربع في رحلات مستمرة طلباً للكلأ والمرعى لمواشيهم ، ومواصلاتهم الجمال والحمير، وبيوتهم الخيام وبيوت الشعر، يقتصرون على الحد الأدنى من الأمتعة للخفة في تنقلاتهم ، ولا همّ لهم إلا تربية الماشية، والتوسع في زيادة أعدادها ، فهي تبلغ الآلاف في المنطقة ، وتسهم في تنمية واردات الدولة ، وقد كانت الدولة لفترة ليست بالقصيرة ، تمثل جل واردتها من زكوات المواشي والحبوب ، كما أن هذه الفئة كانت تسهم في مد الأسواق المحلية بمنطقة عسير، أو المجاورة باليمن أو الحجاز بما يلزمها من احتياجات . **(د)** فئات أرباب الخدمات المساندة ، وهم عمال عاديون يعملون بالأجور على مدار العام ، وعادة يأتون من مناطق قاحلة لا زراعة بها، لشح مصادر المياه فيها ومعظم أراضيهم جبلية تنقصها الخصوبة ؛ أو يقل نزول الأمطار لديهم فيستمرون في العمل عند سكان الفئات الأولى [٢] .حتى ينزل الغيث لديهم وتستعيد أراضيهم عافيتها . وضمن هذه الفئة أيضاً عمال مهرة أو أصحاب

---

(١) هذه حياة الناس في عموم بلاد السروات وتهامة حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وقد عاصرت وشاهدت الكثير من هذه النشاطات الاجتماعية والاقتصادية في سروات بلاد بني شهر وبني عمرو وأجزاء من تهامة خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن الهجري الماضي .

(٢) تاريخ الأيدي العاملة في منطقة عسير خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) من الموضوعات الجديدة في بابها وهي تستحق أن تدرس في عدد من الكتب والبحوث العلمية .

صناعـات وحرف يدوية مختلفة ، تجدهم يمدون أصحـاب الفئات الأخرى بما يريدون من أدوات زراعية أو تجارية وغيرها[١] .

وإذا كانـت هـذه هـي الأصول الجغرافيـة التي اختصـت بها أبهـا ، وجعلتها ذات شخصيـة فريـدة ، فلم يكن هذا إلا واحدة مـن نعم الله على مدينـة أبها خاصة وعلى سائر المملكة بصفة عامة . فقد توفر أيضاً المال والرجال والعزيمة القوية حيث ساهمت جميـع هـذه العناصر في نقل مدينة أبها مـن عصر له سماتـه وخصائصه التي مهدت إلى أن تبـدأ أبهـا عصراً حديثاً يواكب حيـاة التقدم والنمو والازدهـار . وقد استكتبنا الأستـاذ/ يحيى بن حسن مستـور ليصور لنا مرئياته عن مدينة أبهـا بعد التسعينيات مـن القرن الهجـري الماضي ؛ فدون لنا مذكرة طويلة نوردهـا على النحو التالي ، حيث يقول " .. كانت أوضاع أبها العمرانية والاقتصادية في الستينيات من القرن الرابع عشر الهجري شبه مجمدة ، ثم أخذت في التحسن التدريجي البطيء خلال السبعينيات وإلى حـد ما في الثمانينيـات ، وهذا ما ينطبق على كافة مناطق المملكة . وكان هم المؤسسات الإداريـة المعنية المحافظة علـى الاستقرار والأمن وإقامة العـدل ، والنهوض بالشباب ، وتوفـير الخدمات للمواطنـين ، ومن ثـم كان الاهتمام من الإمـارة والمحكمة والشرطة والجوازات والجنسية وغيرها . وهذا التحول إنما يرجع إلى عدة عوامل هي:[٢] . **أولا:** فتحـت الحكومة الرشيدة باب الإنفـاق على المشروعات التحسينية مـن إسفلت ، وشق طرق وإقامة جسور ، وخطوط هاتف ، ومجاري صرف المياه ، وشبكة المياه العذبة ، ونزع ملكية أملاك أحياء بكاملها ، وربط أبها بطرق معبدة حديثة ، بالرياض ، ومكة المكرمة، وجيـزان ، عـن طريق عقبـة ضلع الكؤود التي كانـت تفصل بين أبهـا ومنطقة جازان ، وتشـكل عائقـاً للمواصلات، فكان الحـال أنه لا طريق من أبها إلى جـازان ، وأيضاً إلى محائـل عسـير إلا بواسطة الدواب (الجمال والحمير) . أما الرياض فكان يحول بيننا وبينهـا صحراء الربع الخالي الذي كان عبوره قبـل الإسفلت شبه مغامرة ، وكان يحول بيننا وبين الحجاز (الطائف ومكة المكرمة) سلسلة جبال الحجاز ، والطريق الوحيد لها كان خط ترابي ، ثم أصبح معبداً . كما صار يربط أبها وخميس مشيط وظهران الجنوب فنجـران بطريـق إسفلتي (مسفلـت) معبد . وبهـذه الطرق الإقليميـة ارتبطت المنطقة بكافـة مناطق المملكة كالتـالي[٣]: **(١) الطريق الإقليمي رقـم (١) :** ماراً بقرى خميس

---

(١) تاريـخ الحرف والصناعات التقليدية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة التي تستحق أن تدرس في بعض الكتب والبحوث العلمية .

(٢) تاريـخ التنمية الذي تمر بها بلاد عسير من عام (١٣٩٠-١٤٤٠هـ/١٩٧٠-٢٠١٩م) موضوع مهم ويجب على جامعة الملك خالد أن تنشئ مركز بحث علمي يهتم بموروث بلاد عسير وتنميتها في الماضي والحاضر .

(٣) تاريـخ هـذه الطرق المذكورة أعـلاه تستحق أن يفرد لها دراسات تفصيلية توثـق بداياتها ، ثم تطورها حتى وقتنا الحاضر.

مشيط، فقرى بلد شريف ، فسنحان، فوادعة ، فبلاد قحطان ، ثم ظهران الجنوب ، وفيه إلى نجـران فالعاصمـة (الرياضـ) ، وذلك جنوب أبها . أما الثـاني فيتفرع من خميس مشيـط ويتجه شرقاً ماراً ببلاد قحطان ، قراها الشرقية ، عن أبها ، ماراً بقرى العرين ، وطريب، والصبيخة فتثليث والأمواه ووادي الدواسر، والأفلاج حتى (الرياض). والثالث إلى الرياض عن طريق بيشة فالطائف، ومنه يتفرع لمكة المكرمة والرياض . ولارتباط أبها بمدينـة الرياضـ ، عن طريق ثلاثة خطـوط إقليمية رئيسية ، ازدهـرت الحياة وانتعشت الزراعة ، مما انعكـس إيجابياً على الحالة الاقتصادية على مئات المدن والقرى المنتشرة على هذه الطرق . وساعد على انتشار التعليم إنشاء المدارس في كافة أصقاع هذه الأقاليم، من ابتدائي ، ومتوسط ، وثانوي للفئتين (بنين وبنات) ، وساهم أيضاً في انتشار المراكز الصحيـة ، والمستوصفات ، والمستشفيـات بأنواعها المتعددة وأحجامها المختلفة من كبرى ومتوسطة وصغيرة[١]. ويسرت الطرق المعبدة أمراً استفاد منه المرضى في المناطق النائية مـن الخدمات التي تقدمها وزارة الصحة ، وذلك بالإحالة للمستشفيات الكبيرة المركزية والمتخصصـة ، بموجب خطة يتبعونها في تبـادل المعلومات لتقديم أرقى الخدمات الطبية للمريض ، وأيضاً الخدمات الهاتفية المنتشرة في المنطقة هيأت للمسؤولين سرعة الاتصال وتنظيم الأمور لصالح المواطنين عند الحاجة[٢].

(٢) طريـق إقليمي رقم (٢) : يربط أبهـا بالطائف فمكة المكرمة ماراً ببلاد بني مالـك عسير ، ورجال الحجر (بللسمر وبللحمر وبنـي شهر وبني عمرو) وهذه القبائل تتكـون من مئـات القرى على طول سلسلة جبـال السروات[٣]. **(٣) طريـق إقليمي عن طريـق عقبـة شعار شمالي أبها رقم (٣) :** يربط قـرى محائل وبارق والمجاردة ، ماراً بالقـرب مـن القنفذة فالليث وماوالاهـا إلى مكة المكرمة وقد استفـاد من هذا الطريق عشـرات المـدن والقرى . **(٤) طريق إقليمـي رقم (٤) :** من عقبـة ضلع جنوب مدينة أبهـا ، إلى منطقة جازان ماراً بعشرات المدن والقـرى . **(٥) طريق إقليمي رقم (٥) :** جنوب شرق مدينة أبها يربط المنطقة بمحافظة ظهران الجنوب فنجران ماراً بعشرات المـدن والقـرى . **(٦) طريق إقليمـي رقـم (٦) :** شمال شرق مدينة أبهـا ، يربط أبها بمحافظة بيشة والخرمة ورنية فالطائف ، ومنه إلى مكة ماراً بعشرات المدن والقرى [٤].

---

(١) الأستـاذ ابـن مستـور يذكر شبكة الطرق التي تربـط مدينة أبها مع غيرها منذ تسعينيـات القرن (١٤هـ/٢٠م) وبدايـة هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م). وتاريخ الطـرق البرية في عسير منذ خمسينيات القـرن الهجري الماضي وحتى وقتنا الحاضر تستحق أن توثق في عدد من الكتب والبحوث العلمية .

(٢) تاريخ هذه الخدمات المذكورة أعلاه تستحق أن يفرد لها دراسات تفصيلية توثق بداياتها ، ثم تطورها حتى وقتنا الحاضر .

(٣) شكر الله لك يا ابن مستور على ذكر هذه المعلومات المختصرة التي قد تكون نواة لإنجاز دراسات علمية مطولة وموثقة .

(٤) تاريخ هذه الطرق المذكورة أعلاه تستحق أن يفرد لها دراسات تفصيلية توثق بداياتها ، ثم تطورها حتى وقتنا الحاضر .

(٧) **مدن منطقة عسير**، وهي تعد بالعشرات ، ومئات القرى ، ومن المعروف أن أبها تقع على سلسلة جبال الحجاز الممتدة ن زهران شمالاً إلى ظهران الجنوب جنوباً، وهذه السلسلة يتدرج انحدارها شرقاً ، وينتشر فيها مئات القرى التابعة لقحطان ، وشهران، وعسير ورجال الحجر ، ممثلة في (بللسمر وبللحمر ثم بلاد بني شهر وبني عمرو) حتى بلاد غامد وزهران ، مما سهل ارتباطها بشبكة من الطرق المعبدة الإسفلتية (مسفلتة) ، بنوعيها المكتمل الدراسة بجسورها وجُدُرها الاستنادية ، والطرق الزراعية المنفذة بواسطة وزارة الزراعة وجميعها مسفلتة (مزفلتة) [١].

وهذه الشبكة الممتدة من الجنوب إلى الشمال ، ما يقرب من خمسمائة كيلو طولاً، وفي جهة الشرق ناحية بيشة ، ما يزيد عن مائتي كيلو ، وقد سهلت وساعدت على نشر المدارس في جميع المراحل ، ويسرت أيضاً نشر المراكز الصحية والمستوصفات والمستشفيات التي غطت كافة أجزاء المنطقة . وكان انحدار سلسلة جبال عسير الغربية الموالية لتهامة عسير، فجازان ، يجعل من العسير الاتصال بها رغم قرب المسافة ، بل إنه يكاد يكون شبه معدوم إلا في أضيق الحدود ، إما بواسطة الدواب عن طريق عقبات كأداء ، أو بسيارات قوية حيث اجتيازها إلى المغامرة أقرب ؛ ولكن الحكومة الرشيدة ذللت هذه الصعاب بفتح عقبة ضلع مع طريق معبد إلى منطقة جازان ، وفتحت أيضاً عقبة شعار المؤدية إلى محائل شمالي أبها ، وعقبة "الجوة" ببلاد قحطان بجانب سراة عبيدة ناحية ظهران الجنوب ، وعقبة (الصماء) التي تربط أبها بمنطقة رجال ألمع . وهذا مما ييسر انتشار المدارس والمراكز الصحية ، وأصبح من الميسور التنقل في كافة أطراف بلاد عسير بدءاً من تثليث وبيشة شرقاً ، إلى نهاية درب بني شعبة غرباً وهي مسافة لا تقل من خمسمائة كيلو متر، ومن شمالها حدود زهران إلى نهاية حدودها ظهران الجنوب جنوباً مسافة لا تقل هي الأخرى عن الخمسمائة كيلو متر . وجميع المدن والقرى في هذه المنطقة مرتبطة بطرق معبدة جيدة تقوم على خدمة المواطنين ، وخدمة جميع المؤسسات الحكومية كالمحافظات ، والمحاكم ، والشرطة ، والبلديات ، وهيئات الأمر بالمعروف ، وقطاعات التعليم المختلفة . وفتح الطرقات وتعبيدها في السهل والجبال والسفوح والشعاب وبطون الأودية وهذا سهل التضاريس التي كانت تحول دون التطور والتقدم في البلاد ؛ كما نجم عن ذلك توقف الهجرة من القرى والهجر إلى المدن ، التي نتج عنها في الماضي انكماش الحركة الزراعية في القرى ، وتقلص الحركة

---

(١) لقد عاصرت الكثير من الصعوبات التي كانت تواجه المسافرين على الطريق الجبلي الذي يخرج من أبها إلى الطائف ، والذي يطلق عليه أيضاً السروات ، وعند العامة يسمون قمم هذه الجبال من الطائف إلى قحطان وظهران الجنوب (ساق الغرب) . وهذه الطريق البرية تستحق أن تكون موضوع رسالة أو كتاب علمي ابتداء من عام (١٣٨٠-١٤٤٠هـ/١٩٦٠-٢٠١٩م) .

الاقتصادية . ولكن بتطوير القرى وتنميتها عاد الناس إلى قراهم ، وازدادت المساكن في أبها وخميس شهران ، وخف الضغط على الأسواق والمدارس ودور العلم والمساجد ، وقلت اختناقات الطرقات الرئيسية والفرعية جراء استقرار أهل الأرياف في قراهم ، وذلك بعد توفر الخدمات فيها من كهرباء وهاتف وخطوط إسفلتية ، بل يسر لهم ذلك الإقامة في القرى للقيام على بناء دور متنوعة للسكن ، وكذلك نشطت الأعمال الزراعية والاقتصادية . وبذلك تحققت فائدة مزدوجة ، فالمدن خف الضغط الشديد الذي يفوق طاقتها الاستيعابية ، وازدهرت الحياة في القرى حتى أصبح أغلبها يضاهي المدن[١] .

ثانياً : من القفزات الحضارية الكبيرة على بلاد عسير ، تعيين الأمير خالد الفيصل أميراً لمنطقة عسير ، في بداية عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) ، فمنذ وصل أميراً لهذه الناحية وهو يبذل قصارى جهوده بمواصلة لا تعرف الكلل ، ومتابعة لا يتطرق إليها الملل في كل مجال ، فهو يتعاون مع كل مسؤول ومختص في مجال عمله ، منذ الدراسات الأولية ، إلى فتح الاعتمادات واكتساب المشروعات وتأييد الجهات المعنية وموافقتها إلى أن ترى المشاريع المختلفة النور. وبقدر ما ينفذ من المشروعات على الطبيعة تكون سعادة سموه كبيرة ؛ ولقد لمست هذا منه أثناء معايشتي لهذه الأمور ، وأنا دائم الصلة به عندما كنت رئيساً لبلدية أبها ، منذ وصوله في مطلع عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) حتى نقلي من رئاسة البلدية إلى مدير مشروع كهرباء أبها في نهاية عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ؛ واستمر ذلك وسموه لا يفتر عن المتابعة في كل مجال[٢] . ومن خطوات النقلة والتحول في المدينة ما يأتي : **(١)** كانت بلدية مدينة أبها مرتبطة من حيث التخطيط بإدارة التخطيط في جدة ، إذ لم يكن هناك إدارات تخطيط رئيسية للشؤون البلدية سوى إدارتين الأولى في مدينة الرياض ، والثانية في مدينة جدة ، وبلديات المملكة جميعها موزعة إلى قسمين: مجموعة تتبع الرياض ، والثانية تتبع جدة . وكانت بلدية مدينة أبها مع عشرات البلديات تابعة إدارياً ومالياً إلى إدارة التخطيط في المنطقة الغربية في (جدة) . ولهذا تتأخر المخططات لعدة شهور وأحياناً سنوات ، مما ينجم عنه تأخير الأمور إلى درجة التجميد ، وبالتالي تظل الأمور بالنسبة للمخططات ، وبيع الأراضي ، وتنفيذ المشروعات شبه مجمدة . فعمل سمو الأمير/ خالد الفيصل على انتداب مهندس تخطيط من جدة إلى أبها ، ومن المصادفة الطيبة قدر أن عين واختير لهذه المهمة المهندس المدعو/ محمد

---

(١) كلام ابن مستور ينقصه الوضوح ، فالدولة سعت إلى توفير جميع الإمكانات في القرى والأرياف ، لكن الهجرة من الريف إلى المدينة ارتفعت ومازالت حتى وقتنا الحاضر . وتاريخ الهجرة بين المدن والأرياف في بلاد تهامة والسراة خلال السبعين عاماً الماضية تستحق أن تدرس بشكل كبير وتفصيلي في عدد من الكتب والبحوث العلمية .

(٢) أشكرك يا ابن مستور على هذا السرد التاريخي ، واستمرت ومازالت منطقة عسير تسير نحو التطور والازدهار. ونجد سمو الأمير تركي بن طلال آل سعود في هذه الأيام يعمل ليلاً ونهاراً على تطوير هذه الناحية الجنوبية السعودية ، ونأمل أن تكلل أعماله بالنجاح والتوفيق .

بـن نايف فلسطينـي يحمل جواز سفـر أردني ، تخـرج مهندساً للتخطيـط من جامعة القاهـرة، وربمـا الأزهر . وهذا الرجـل يتمتع بقدرة فائقة وإخلاص تـام ، ولديه رغبة شديـدة للعمـل ، وتفانٍ منقطع النظـير ، يواصل الليل بالنهار ، بجهـد لا يعرف الكلل ، وطاقـة لا يتطـرق إليهاً الملـل ، يساعده فريق مـن المساحين والرسامـين . وكان يحاول جاهـداً موافقـة المخططات مـع الطبيعة وربط المخططـات الجزئيـة بالمخطط العام، وينجـز مـا كان مجمداً في إدارة تخطيـط جدة لبضع سنوات. وعملـت باعتباري رئيس البلديـة آنذاك ، خلال أعوام (٩٢، ٩٣، ٩٤، ١٣٩٥هـ) ، على تحويل مبنى صالة البلدية الواسعـة ذات الطابقين بأفنيتها وغرفها الفسيحة ومكاتبها المتعددة مقراً للمهندسين ، وعين مع المهندس/ محمد بن نائف مهندس معماري آخر إنشائي، وعدد من المساحين، وعـدد مـن الرسامين، ولفيـف من الفنيين . وتشـكل من المجموعة خليـة عمل ، وهيئت لهم الإمكانان اللازمة ، وأعطوا من العمال والسيارات والآلات ما جعلهم يؤدون عملهم بيسـر وسهولـة. وقام المهندس/ محمد بـن نائف بربط المخططـات الجزئية، وعددها على ما أذكر خمسة وثلاثون مخططاً ، وهي تشتمل على مئات القطع من الأراضي التي بيعـت في عهد رؤسـاء البلديات السابقين ثـم وقف البناء فيها لحـين الربط بالمخطط العـام ، وتم ذلـك خلال مدة زمنيـة قياسية ، لعلهـا لم تتجاوز الشهـر، بينما كان هذا يحتاج من سنة إلى سنوات . وقد انطلق المهندس/ محمد بن نائف من قلب المدينة [١]، وهـو ما يسمـى (الوسط) ، فأنزل مجمعـات الأسواق والمسجد الجامـع الذي في وسط المدينة ، ثم تعمد ترك ساحة البحار بدون إقامة منشآت عليها، خاصة بعد أن علم أنها ساحـة معـدة للاحتفالات التي تقـام في مناسبات الأعياد والمهرجانـات الرياضية مثل تخصيص ميادين وملاعب لرعاية الشباب ، كما كانت تستغل لأنشطة طلاب المدارس الرياضيـة والحفلات الرسمية الكبرى، كما كانت تستغل لتدريبات جنود الدفاع عندما كانوا متواجدين في أبها خلال الخمسينيات والستينيات والسبعينيات الهجرية ، وميداناً لتدريب جنود الشرطة في هذه الفترة وذلك قبل تزايد أعدادهم . وأصبحت الآن ساحة فسيحـة (ساحة البحار) شرقها مبنـى الإمارة على استطالتها مـن الجنوب للشمال ، ويقـع المجمع الحكومـي عنها غرباً بمنشآتـه ومبانيه ذات الطوابق المتعـددة ، وشمالها مبنـى جامـع المدينة الكبـير (تحت الإنشاء) ، ويقـف بها الآن مئـات السيارات . وقد تابعـت شركة أجنبية تعاقدت معهـا وزارة الشؤون البلديـة لاستكمال مخطط المدينة ، وبهـا أعداد كبيرة من الفنيـين في جميع التخصصات متخذين من مخططات المهندس

(١) شكر الله لك يا استاذ يحيى بن مستور فقد رصدت لنا معلومات قيمة عن بدايات التطور والتنمية في مدينة أبها، والجميـل في هـذه المعلومات أنك كنت معاصراً وصاحب رأي وقرار في تسعينيـات القرن الهجري الماضي. وآمل أن نـرى باحثـاً جاداً يدرس ويوثق بدايات تطوير مدينة أبها منذ عـام (١٣٩٢- ١٤٢٠هـ/١٩٧٢-٢٠٠٠م) ، ومن يفعل ذلك فإنه سوف يطلعنا على معلومات قيمة وأصيلة عن هذه المدينة العسيرية الجميلة .

محمد بن نائف نواة ومنطلقاً لأعمالهم ، وبعد ذلك أنشيء مكتب تخطيط في أبها لمتابعة مخططات منطقة عسير وبلدياتها المنتشرة في كافة ربوعها[١] .

(٢) كان من أهم الأعمال التي تمت أثناء ممارستي رئاسة بلدية أبها من عام (١٣٨٩-١٣٩٥هـ / ١٩٦٩-١٩٧٥م) ، (أ) تم ربط المخططات الجزئية وقدرها خمسة وثلاثون مخططاً ، حسبما سبق الإشارة إليه بالمخطط المعتمد وأضيف له أجزاء من جهاته الأربع. (ب) تنظيم وسط أبها ، وكان في القلب ميدان البحار ، وأقيم شرقيه بمحاذاة مبنى الإمارة جنوباً ميدان للهاتف متعددة الطوابق . (ج) نزعت ملكية دور حي القرى بكاملها ، وهدمت وكانت دوراً قديمة مقامة بالمونة المحلية متشابكة المباني متعرجة الشوارع ، وأقيم مكانها خمسة عشر مبنى حكومياً لأغلب الإدارات الحكومية في شكل مجمع يتخللها ممرات ويحيط بها مواقف وطرق مشاة متصلة بساحة البحار، الأمر الذي سهل للمراجعين الاتصال بهذه الإدارات عند الحاجة لكونها متجاورة وفي حيز واحد ، بالإضافة إلى أن وجودها بجوار مقر الإمارة ، وانتظام المباني بأدوارها (طوابقها) المتعددة ، أعطى مع الساحة التي تحيط بها المباني من جهاتها الأربع منظراً جمالياً متميزاً[٢] . (د) نزعت ملكية منازل حي مناظر بكاملها وكانت مقامة بالمونة المحلية ومتشابكة ، وقطع الجبل (جبل مازن) ، الذي كانت الدور في قمته وسفوحه ، وبعد تنفيذ الشارعين المزدوجين وسط الحي ، أنشئت مباني أسواق الملك فيصل الخيرية في غربي الأرض بعد تسويتها ، ومباني أسواق جمعية البر الخيرية في شرقها ، ولاشتمالها على مئات المعارض ، فقد استوعبت أغلب الأسواق ، وبذلك غطت حاجة المدينة مما جعل أمر التسوق ميسوراً لوجود مواقف للسيارات[٣] . (هـ) نزعت ملكية دور حي الربوع ونعمان ، لكونها قديمة ومتشابكة ، وتغطيتها بالخدمات يكاد يكون متعذراً . وبعد قطع الأرض وتسويتها ، بعد إزالة الدور، أقيم عليها مبنى المجمع الخاص بالمحاكم الشرعية، مكوناً من عدة طوابق ، ومبنى لإدارة الهاتف العامة بعسير، ومبنى

---

(١) ذكر ابن مستور أعلاماً وأفراداً بذلوا جهوداً في تطوير مدينة أبها منذ التسعينيات ، وبعضهم من بلدان عربية وإسلامية ، وآمل أن نجد باحثاً يدرس جهود أولئك الأشخاص فيدون سيرهم وإنجازاتهم فيما يخص حاضرة أبها وغيرها في منطقة عسير .

(٢) أختلف مع الأستاذ يحيى بن مستور في هذا القول ، وكان الأجدر أن تبقى عمارة وسط أبها كما كانت مع ترميم منازلها وأزقتها وأحيائها ووواديها وفروعه ، وتخصص أراض خام حول المدينة القديمة وتبنى فيها المشاريع الحديثة التي بدأت منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي ، وللأسف أنه تم تدمير وتجريف وسط المدينة القديمة، ومن ثم قضى على صفحات كثيرة من تاريخ وحضارة هذه المدينة الجميلة.

(٣) يا حبذا يا أستاذ ابن مستور أنكم تركتم تلك الأحياء على طبيعتها الأولى ، وقمتم بصيانتها وترميمها ، ولو فعلتم ذلك لكانت مدينة أبها القديمة من المواقع العالمية التي يزورها السواح وغيرهم من أصقاع المعمورة . وما جرى من هدم لهذه الأحياء كان قراراً غير سليم ، وآمل من بلديات وأمانات مدن ومناطق المملكة العربية السعودية أن تحرص على صيانة كل قديم يعكس شيئاً من تاريخ وحضارة هذه البلاد العربية الأصيلة .

للمكتبـات العامة التابعة لوزارة المعارف ، ويتخلل هذه المنشآت مواقف محاطة بشوارع، وبجوارهـا حديقة عامة مما يلـي وادي أبها . وأصبحت هـذه المنظومة مباني المحاكم، والهاتـف ، والمكتبة العامة ، والحديقة العامة ، وما يحيط بها من مواقف وشوارع تحقق خدمة كبيرة للناس إضافة إلى منظرها الجمالي[1]. (و) نزعت ملكية مزرعة الطبجية الواقعة جنوبي ساحة البحار ، وأنشئ عليها مباني أسواق البلدية ، ومسجد ومجموعة من العمائر ذات الطوابق المتكررة على الشارع العام. (ز) أحيطت ساحة البحار من جهاتها الأربـع بشوارع مزدوجة يتصل بعضها ببعض وأصبح وسط المدينة يضم عشرين مبنى حكوميـاً بمـا فيها مقر الإمارة ، ومبنى " مجمع المحاكـم الشرعية " والشرطة والهاتف والـبرق والبريـد ، والمكتبة العامـة ، إلى جانب المجمع الحكومـي بمبانيه الخمسة عشر والمقام على أرض محلة القرى غربي ساحة البحار . (ح) الطرق الإقليمية الخمسة، التي سبق الإشـارة إليها، تصب جميعها في وسط المدينة ، ولتفادي الازدحام وسط المدينة ، وتـلافي الاختناقات ، أنشئ الطريق الدائري ، بحيث يطوق المدينة ، وتصب فيه الطرق الإقليمية، وغيرها من الطرق المؤدية للقرى المجاورة ، وأقيم على جانبيه الدور والأسواق ومحطـات البنزيـن . وكان الغاية مـن الدائري ، بالإضافة إلى ما سبـق ذكره ، أيضاً الحد مـن امتداد المدينة العشوائي ، وتغطية كافة المحلات والمباني داخله بالخدمات المتنوعة من صرف صحي ، وشبكة مياه ، وهاتف ، وخدمات بريدية ، ومدارس، ومستوصفات ، وما إلى ذلـك . ولكن تطور المدينة وامتداد توسعها استجابة للحاجة المتزايدة جعل الخروج بالمدينة مـن حيز الدائـرة أمراً أملته الضـرورة القصوى والحاجة الشديـدة . (ط) امتداد المدينة شمـالاً بمخططات عديدة مثـل: أحياء البصـرة ، والوصائف، والوردتـين والبديع والقرى الجديد، وضباعة السفلى بجوار مزارع ابن مسفر ، وضباعة العليا بجوار مزارع ابن مخافة، وغيرهـا، منها ما هو داخل الدائري وأغلبهـا خارجه . (ي) امتدت المدينة غرباً ، بما شيد علـى الدائري من دور حديثة علـى جانبيه ومساجد ومدارس ابتدائيـة ومتوسطة وثانوية ، وأنشئـت أحياء مخططات حديثة منها مخطط " الشربتلي " الذي عمل سمو الأمير/ خالد الفيصـل علـى استدعائه من جدة وسهل لـه إعطاء الأرض بالقيمة المقـررة ، وقام بإنشاء مجموعتين من المباني : حيين كاملين أحدهما غربي أبها في ربوة على بحيرة السد ، والثاني علـى ربوة ثانيـة جنوبي أبها جهة الشرف بجـوار المستشفى المركزي ، وبعـد إتمام مبانيها وتشطيبها باع الجميع على المواطنين الذين نزعت دورهم وهيأهم لذلك مادياً لدفع الثمن، وبذلـك اختصرت الفترة الزمنية للأهـالي ، وساعدهم ذلك على الانتقال السريع في فترة

(١) يا أستاذ يحيى منظرها قبل الهدم والإزالة أجمل وأفضل ، واليوم نرى فقط أبنية حديثة مسلحة ، ولا جمال فيها، وإنمـا هـي منشآت معمارية مثلها مثل أي عمارة في المدينة أو أي ناحية من نواحي عسير ، والجمال هو ما تم إزالته وإتلافه ، فهو جزء من تاريخ الأوائل الذين شيدوه بمواد محلية، مع الحفاظ على جمال موارد أرضهم الطبيعية .

زمنيـة قياسيـة من دور قديمة إلى مبـان حديثة . ومن الأدوار الفعالـة والمجهودات البارزة والكثيرة لسمو الأمير خالد الفيصل إقناعه لرجال أعمال آخرين بإقامة مشروعات مماثلة مثل: مشروع إقامة مجمع سكني بحي الخالدية ، إقامه رجال الأعمال ، عودة العودة ، وابن عثمان ورفاقهم، وآخر بحي العوفة قرب قرى رضف وهذه المجمعات السكنية يتخللها شوارع طولية وعرضية ، وساحات، ومساجد ، مربوطة بالمخطط العام تم بيعها على المواطنين [١].

وقـد كان لذلك أكبر الأثر في النقلة الجديدة مـن المباني القديمة إلى مبان حديثة مسلحة ، إذ تمكن الأفراد الذين نزعت ملكية دورهم من استبدالها بسكن حديث جيد، إذ تمكـن الأفراد الذيـن نزعت ملكية دورهم مـن استبدالها بسكـن حديث جيد، بمجرد استلامهم مبالغ التعويض من الدولة ، دون أن يحدث ذلك أزمة في السكن ، فإزالة أحياء بكاملهـا قبل إيجاد البديـل كان سيؤدي إلى ارتباك واضطراب للسكـن وأرباب المساكن ، وبالتـالي قد ينجم عنه هزة في السوق العقـاري، إلا أن تجهيز هذه المساكن بالقدر الكافي في الوقـت المناسب ساعد على أن تسير الأمور سيراً طبيعياً ، وتمت النقلة من مبان قديمة إلى مبـان حديثـة بيسر وسهولة وارتياح لأرباب الدور، وتحقـق بذلك فوائد جمة ، فرجال الأعمـال جنوا ثمـرة جهودهم ، وأرباب المساكـن حصلوا على السكـن المناسب في الوقت المناسب، والتنظيم والتنمية التي أرادتها الحكومة تحققت في أقصر مدة[٢].

ثالثاً : توفير مخططات معتمدة بالعشرات ، وزعت على المواطنين ، ونزلت السوق العقـاري ، إلى جانب وجـود السيولة النقدية بأيدي المواطنـين أصحاب الدور المنزوعة ثـم صادف ذلـك بداية افتتاح صندوق التنمية العقـاري ، واختصار إجراءات الصرف للمستحقـين إلى الحـد الأدنى ، ثـم سرعة الصرف لمـن تتوفر فيه الشـروط . فقامت هـذه الأحيـاء وتلك المباني المشـار إليها بسرعة مذهلـة ومنها على سبيـل المثال : **(١) حـي الضبـاب جنوبـي جبل ذرة :** على امتـداد المدينة من جبل (أبـو خيال) غرباً إلى مخطـط الشربتلـي ، سالف الذكـر، في قرى الشرف شرقاً ، وجنوبـي الطريق الدائري بمسافـة لا تقل طولاً عن (٢كم) ومتوسط عرضه حوالي (٧٠٠م) وقد أقيم على أرض هذا الحي مئات الدور، وتخترقه الشوارع طولاً وعرضاً ، وتنتشر فيه المرافق ، كمدارس البنين والبنات ابتدائي ومتوسط . ومساجد (جوامع) مع أسواق، وفروع لبعض الإدارات الحكوميـة كالبريد والمـرور . **(٢) المخططـات الأربعـة المقامة على جبـل ذرة شرقه وغربه وشماله وجنوبه :** اشتملت جميعها على مئات المباني ، وتتكون من دور ومرافق

---

(١) أشكـرك يـا يحيى بـن مستور على هذا التوثيق الجيد الـذي عاصرته وشاهدته أثناء تطويـر مدينة أبها في نهاية القرن الهجري الماضي وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) .

(٢) تاريـخ تطوير مدينة أبها وما جاورها من عام (١٣٩٠-١٤٣٠هـ/١٩٧٠-٢٠١٠م) من الموضوعات التي تستحق أن تدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية موثقة .

وأسـواق ومساجـد ومدارس، شملتها الخدمـات الحكومية من مـاء وكهرباء ، وصرف صحـي ، وهاتـف ، وخدمـات البلديـة ، والبريد وغيرهـا . **(٣) المخططات المتعددة :** شرقـي المدينة الممتدة ما بين مباني المدينة داخل الطريق الدائري وضواحي قرى مشيع والعريـن في الناحية الشرقيـة ، وانتشرت في هذه الأجزاء مئـات المباني والمرافق ، وتم خدمتها بالخدمات الحكومية المتنوعة .

(٤) مخطـط (حـي النميص) بمساحة تزيد عن (٢) كم ، وعرض لا يقل معدل وسطـه عـن (٧٠٠) متر ، قـام عليه مئات الـدور ، وانتشـرت فيه المساجـد والمدارس والمرافق المتنوعة ، وتوفرت فيه كافة الخدمات الحكومية . **(٥) توسعت منشآت المدينة شرقاً** ، حتى اتصلت بقرى الشرف المتعددة ، كما امتدت غرباً إلى قرية العلاية وامتدت المدينـة شمـالاً إلى قرى رضـف ، وجنوباً إلى قـرى آل سريع بالمحارث بجـوار قرى آل سرحـان. **(٦) الطريـق ذو المسارين المؤدي إلى خميس مشيـط** "شهران" بمسافة لا تقـل عـن خمسة عشـر كيلومتراً ، والـذي يمر بمنظومة القـرى التاليـة : **(أ)** جوحان ، **(ب)** قاعـد ، **(ج)** لعصـان. **(د)** المحالة ، **(هـ)** آل الغليـظ ، **(و)** حجلا مدينة سلطان وعـدد من القرى دون مدينة خميس مشيـط . وهذا الطريق انتشر على جانبيه عشرات المبـاني والأسواق والمحطات والاستراحـات وشملته خدمات البلدية من تشجير وإضاءة بالكهربـاء ، وخدمـات إيصال مـاء الشرب العـذب ، والخدمات الهاتفيـة[1]. **(٧) من ضمـن هـذه المنظومة حي الموظفين بلعصـان** ، في منتصف الطريق بين أبها والخميس، قـام به حي من أكبر الأحيـاء بأبها ، متوفر فيه كافة الخدمـات ، وبجواره منشآت كلية المعلمين بمبانيها المتعددة والممتدة على حيز واسع من أرض لعصان ، ومواقعها الواسعة وملاعبهـا الفسيحة وشوارعها الكثيرة التي تربط منشآتها المتناثرة طولاً وعرضاً ، كما يوجد هناك مبنى ضخم يضم كلية العلوم الطبية بأقسامها المختلفة ، وكلاهما منشآت حكوميـة ، وبالقـرب منهـا منشآت وملاعـب رعاية الشبـاب الرياضيـة . **(٨) ملاعب رعاية الشباب :** منظومة متكاملة من المنشآت والمباني والساحات والميادين والمساجد ، ومواقف للسيارات وأحواض سباحة، وجميع ما يحتاج الشباب من مرافق تلبي رغباتهم الرياضيـة ، هـذه المنشآت توجد علـى جانب وادي المحالة ، أحد أجـزاء وادي أبها ، في منطقة بين أبها ، وخميس شهران ، وقرى بلاد بني مالك ، يربطها بطريق أبها الخميس طريـق واسـع ذو مساريـن ، وآخر عن طريق بـلاد بني مالك ، بالإضافـة إلى ما تتميز بـه منشآت الملاعب مـن سعة تستوعب الأعداد الكبيرة المتوقـع تواجدها عند المباريات والأنشطـة الرياضيـة العادية والدورية من الجماهير ، فـإن ما يحيط بها من مساحات شاسعة ، وأرض فسيحة واسعة تهيئها لتكون طاقتها الاستيعابية جيدة ومناسبة.

---

(١) نشكرك يا أستاذ يحيى بن مستور وندعو لك بالشفاء هذه الأيام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) ، ونسأل الله أن لا يحرمك أجر ما دونت لنا وحفظته عن مدينة أبها خلال العصر الحديث .

(٩) حي الخالدية من الأحياء الحديثة ، قام غربي المدينة ، بدءاً من الحي القديم (القابل) ، وتتوفر به الشوارع الجيدة، وكافة الخدمات الحكومية المتنوعة من هاتف ، وكهرباء ، ومياه عذبة محلاة للشرب ، ومجاري صرف ، وحدائق ، ومساجد (جوامع) ، ومدارس (بنين وبنات) ومحل للرعاية الصحية الأولية ، وأسواق تجارية ، ومحطات وقود ، وما إلى ذلك شأنه في ذلك شأن الأحياء الجديدة والقديمة في مدينة أبها ، ومقام في ربوة بالحي قصر سمو أمير المنطقة وقصر نائبه ، وبجوارهما الصالة الملكية المعدة للمناسبات ، وتحيط بها الحدائق العامة . **(١٠) يوالي الخالدية من الغرب** ، في أرض فسيحة محاطة بأراضي فضاء ، الصالة المغلقة المقامة بواسطة رعاية الشباب ، مشتملة على كافة المتطلبات اللازمة للأنشطة المتنوعة ، التي تلبي حاجة الشباب الرياضية ، وتشتمل على صالة مناسبة للندوات والمحاضرات. **(١١) أقيم مبنى جيد وفسيح للنادي الأدبي بحي الخالدية**، يشتمل على مكتبة عامة جيدة يرتادها الأدباء والمثقفون وطلاب الجامعات والمدرسون في فترتين صباحية ومسائية، للاستزادة من العلم والمعرفة وصقل المواهب وتوسيع دائرة معارفهم . وضمن مباني النادي صالة مناسبة للمحاضرات التي تجريها إدارة النادي بصورة دورية ومستمرة ، كما يوجد في مكتبة النادي الجرائد اليومية ، والمجلات الدورية ، ومئات الكتب المتنوعة في شتى العلوم والمعارف. كل ذلك معد لطلاب المعرفة بشكل جذاب ، وفي أجواء تجلب البهجة وتشد الزائر للبقاء مدة أطول ، الأمر الذي جعل الرواد في تزايد مستمر ، وبذلك حقق النادي الفائدة المرجوة[1]. **(١٢) امتداداً لحي الخالدية :** أقيمت منشآت للبلدية على طريق آل يوسف ، غرب شمالي الخالدية ، كنادي البلدية الذي تجده مقاماً على ربوة جبل متوسط الارتفاع ، وتحيط به الحدائق والطرقات المعبدة وتقام فيه حفلات بعض المناسبات المتعلقة بتنمية المدينة وفي جزء من الأرض المجاورة له ، مما يوالي المدينة ، مجمع لمعدات البلدية وآلياتها من سيارات ، وورش صيانة ، ومحطة بنزين ، وأقيم شرقي تلك المنطقة مسجد العيد محاطاً بمواقف تستوعب مئات من السيارات . **(١٣) استكمالاً لما جاء في الفقرة الثامنة بالنسبة لمنشآت رعاية الشباب في المحالة ،** فقد أقيم في مدخل شارع المحالة منشآت ضخمة ، تشتمل على مبان متعددة ، وأقسام كثيرة على مساحات واسعة ، شرع في إقامتها منذ سنوات وتم افتتاحها منذ عدة أسابيع ، في حفل كبير شرفه سمو أمير المنطقة ، ومعالي وزير المعارف، وتلك المنشآت هي مباني معهد التربية الفكرية لتعليم الصم الذي تأسس بالمنطقة عام (١٤٠٦هـ) ويشتمل على قسمين . **(أ) قسم الدارسين :** ويشتمل على مرحلتين ابتدائي ومتوسط،

---

(١) وفقك الله يا يحيى بن مستور على توثيق هذه المعلومات القيمة التي قد تفيد الباحثين وطلاب المعرفة في قادم الأيام ، كما أنها تروي لأبنائنا وبناتنا وأحفادنا صوراً من تاريخ الآباء والأجداد .

تقدم به الخدمات التعليمية ، والتربية الاجتماعية ، ويعمل به مدرسون متخصصون في التدريس للصم . **(ب) القسم الداخلي :** يقدم الإعاشة الكاملة ، والملبس وأدوات النظافة الشخصية ، وغسيل الملابس ، ويقوم بالإشراف على هذا القسم متخصصون في الخدمات الاجتماعية [١] .

٣.نبذة عن جغرافية أبها وتاريخها المعاصر (١٤١٠- ١٤٤٠هـ/١٩٩٠-٢٠١٩م) .

في صفحات سابقة ولاحقة من هذا المحور نجد تفصيلات عن مدينة أبها في القديم وبخاصة في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، والسنوات الأولى من القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وكوني معاصراً للحياة في هذه المدينة خلال الثلاثين سنة الماضية فإنني أذكر بعض الصفحات التاريخية المعاصرة التي عرفتها وعاصرتها ، وقد سجلت شيئاً من ذلك في بحوث سابقة[٢] .

وفي هذه الورقات نذكر لمحات مما عاصرناها وعرفناه في هذه المدينة السعودية العسيرية (أبها) منذ عام (١٤١٠-١٤٤٠هـ/١٩٩٠-٢٠١٩م) [٣] ، وهي على النحو الآتي: **أولاً :** نجد الأستاذين يحيى بن مستور واللواء خالد ابن شائع في صفحات سابقة من هذا القسم ولاحقة يذكران ما عرفاه وعاصراه عن مدينة أبها منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ونقول: شكر الله لهما فقد وضع لبنات أولى لمن أراد أن يدرس تاريخ وحضارة هذه المدينة العربية السروية في جنوب البلاد السعودية . وأضيف قائلاً : " أنني في العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)

---

(١) شكر الله سعيك يا أستاذ يحيى بن مستور على هذا التوثيق الجيد ، وقد أذكر في المحور القادم شيئاً مما شاهدته في مدينة أبها خلال العقود الثلاثة الماضية (١٤١٠-١٤٤٠هـ/١٩٩٠-٢٠١٩م) .

(٢) نعم دونت ونشرت الكثير من الصفحات عن مدينة أبها وأجزاء أخرى في منطقة عسير خلال الثلاثين سنة الماضية ، وجميع مادة هذه المدونات قامت على الخبرة والرحلة والمشاهدة في ربوع هذه البلاد ومن تلك الدراسات .غيثان بن جريس " رحلة أبها المجاردة يوم الجمعة (١٤١٣٤/٩/١٢هـ) " . منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) (الجزء الثاني) ، ص ٤٤٥-٤٥٣. للمؤلف نفسه. " منطقة عسير خلال خمسة عقود (١٣٨٠-١٤٣٠هـ/١٩٦٠-٢٠١٠م) (مشاهدات ، انطباعات ، رؤى) " . منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٢، ص ٢٤٤-٢٩٢. للمؤلف نفسه " حاضرة أبها كما رأيتها وعرفتها (صور من التاريخ الحضاري خلال الأربعين عاماً الماضية " . كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الجزء الخامس) ، ص ٣٣٤-٣٦٢) . للمؤلف نفسه " النماص وأبها (١٣٧٩-١٤٠٠هـ/١٩٥٩-١٩٨٠م) (انطباعات ومشاهدات) . كتاب : القول المكتوب في تاريخ (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) (الجزء السابع) ، ص ٣٢٨-٣٦٣. للمؤلف نفسه " وقفات غيثان بن جريس في بلاد عسير وما حولها (١٤٠١-١٤٣٦هـ/١٩٨١-٢٠١٥م) (انطباعات ومشاهدات) "كتاب القول المكتوب في تاريخ الجنوب" (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) (الجزء التاسع) ، ص ٣٦٥-٤٣٨. محمد بن أحمد معبِّر .الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي في مؤلفات غيثان بن جريس (ق١٥-٢هـ/ق٢١م) (الريا : مطابع الحميضي ، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) (الجزء الثاني) ، ص ٦٠٩-٦٢٦ .

(٣) هذه المعلومات المدونة في هذه الصفحات موجزة ، وتحتاج إلى دراسات مطولة وموثقة ، لكننا نشير إليها لعله يأتي في قادم الأيام من يتوسع في دراستها ، ويستكمل ما لم نستطع تدوينه ، أو تصحيح ما وقعنا فيه من قصور وأخطاء.

شاهـدت سير التمدن والبناء الحديث في هذه الحاضرة ، وفي الوقت نفسه رأيت الكثير مـن الأبنيـة والمعـالم الحضارية القديمة مثل: المنـازل القديمة وما يحيـط بها ، وسوق الثلاثـاء في الناحيـة الجنوبية من ساحة البحار، والكثير مـن الآبار والزروع التي كانت في طـول وعرض المدينة ، ومع مـرور الزمن في العقدين الثـاني والثالث من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) تراجعـت الزراعة بشكل كبـير ، وهُجرت المنازل القديمـة وتحولت إلى أبنيـة مهدمة ومندثرة ، ناهيـك عن الطرق القديمة فهي الأخـرى تلاشت وحل محلها طـرق أسفلت واسعة ذات أرصفة وأشجار جانبيـة ، وكل قديم اندثر وضاع الكثير منه، والغطـاء النباتي الطبيعي في مدينة أبها تدهـور وانقرض مع تزايد الأبنية والمخططات والعمـارة الحديثة ، ونجد الناس في سباق للقضـاء على جغرافية أبها الطبيعية ، وهذا ممـا خلف التصحر والجفاف للبـلاد ، وأيضاً النقص في الميـاه الجوفية ، وغيرها من مظاهـر الجغرافيا الطبيعية . ولم يتوقف أذى الناس عند تشييد العمارات والمخططات الحديثـة ، وإنمـا امتد خرابهم إلى الجبـال والأودية في أبها وما حولهـا فاعتدوا عليها بالتجريف والتشويه والقضاء على مواردها وكائناتها النباتية والحيوانية وغيرها" [١]،

ثانيـاً: مدينـة أبها اليوم (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) اختلفت عن تلـك المدينة الصغيرة المحـدودة في تركيبتهـا السكانية عما كانت عليه في أوائل هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، في أحيائها القديمة والجديدة كانت متواضعة ، وأيضاً أسواقها ، ومنازلها ، وأبنيتها الأهلية والرسمية ثم صارت في ركاب التطور ، فتوسعت شوارعها الداخلية والخارجية ، وأصبح بعضهـا مزدوجة مثل الطريـق الدائري حول المدينة والسـكك الرئيسية التي تخرج من المدينـة إلى جهاتها الأربع ، ومعظم الشوارع الداخلية التي تربط بين أجزاء المدينة هي الأخـرى واسعة وكثير منها مزدوج . أما عمارتها الأهلية والرسمية فأصبحت حديثة في تشييدها ، وارتفاعاتها، ومرافقها ، وتزويقها وأثاثها ، ومستودعاتها ، ومواقف السيارات وغيرهـا . ومن يتجول في أنحاء المدينة يرى نماذج كثـيرة من هذه العمارة الحديثة مثل: عمائـر الإمارة ، والهاتف ، والمحاكم الشرعيـة ، والتأمينات الاجتماعية ، وإدارات أخرى عديـدة وسـط المدينـة وفي أطرافها ، كمـا يشاهد الكثير مـن أبنية المدارس ، والمعاهد ومجمعـات الجامعة في حي القريقر، ولعصـان ، وكليات البنات على طريق الملك عبدالله ، وأيضـاً الأسـواق التجاريـة الصغيرة والكبيرة مثـل: أسواق القبـة ، والجمعية الخيرية وسـط أبهـا ، وهنـاك أسواق عالمية (مـولات) مثل : أبها بـلازا ، وأبها مـول ، والراشد،

(١) ما حل بمدينة أبها وقع في معظم مدن وقرى وبلاد تهامة والسروات بل في معظم أنحاء المملكة العربية السعودية. ويجب على صناع القرار والمهندسين والمخططين أن يحرصوا ويحافظوا على كل موروث قديم ، وعدم الاستمرار في إيذاء الطبيعة ومواردها الطبيعية والتراثية والتاريخية والحضارية .

وعسير مول وغيرها من العمائر المتناثرة في أنحاء المدينة وما حولها [١]. وإذا عرجنا على الأبنية الرسمية والتجارية الأخرى في المدينة فهي كثيرة : مثل شركة الكهرباء ، ومطار أبها ، والجوامع والمساجد الكبيرة والصغيرة ، والمؤسسات والمحلات التجارية والصناعية والزراعية ، وأيضاً الفنادق ، والشقق المفروشة فلا تخلو أي ناحية في أبها من هذه العمائر المتفاوتة في مساحتها ، وارتفاعاتها ، وطرق تشييدها ، ومواقعها ، وأهميتها في خدمة المجتمع [٢] . ومن يطالع مخططات وأحياء أبها الجديدة فهي كثيرة ومنتشرة في كل مكان، ومعظمها مكتظ بالسكان والخدمات التجارية ، والصحية ، والاجتماعية وغيرها[٣] .

ثالثاً: تشهد مدينة أبها اليوم كثافة سكانية عالية ، وتلاحظ ذلك من ازدحام الشوارع ، والأسواق ، والمطاعم، وإيجارات المنازل والشقق المفروشة ، والفصول الدراسية في رياض الأطفال ، ومدارس التعليم العام ، والكليات الجامعية ، وأيضاً في المناسبات العامة كالزواجات ، وصلاة الجمعة والأعياد ، والمآتم وغيرها. وارتفاع نسبة الازدحام في هذه المدينة يعود إلى عدة أسباب منها: **(١)** ازدياد الهجرة من الريف إلى المدينة ، أو من المدن الكبيرة ، وبخاصة من أهل بلاد عسير ، فالكثير منهم عندما يحالون للتقاعد من وظائفهم العسكرية أو المدينة يعودون إلى وطنهم الأصلي في منطقة عسير ومعظمهم يقطنون مدينتي أبها أو خميس مشيط لتوفير جميع الخدمات فيهما . **(٢)** ارتفاع نسبة النسل في عموم المملكة ، وبلاد عسير تأتي من أعلى المناطق في نسبة المواليد . وكذلك توفر فرص الدراسة في كليات الجامعة ، وبعض المدارس والمعاهد الأهلية جعلت الكثير من الطالبات والطلاب يأتون إلى هذه المدينة (أبها) لتحقيق مطالبهم التعليمية ، وأحياناً ينقل جميع أفراد الأسرة من أماكنهم الأصلية إلى المدينة حتى يكونوا قريباً من بناتهم وأولادهم الذين التحقوا بالتعليم العالي في كليات جامعة الملك خالد ، أو بعض الكليات الأهلية . **(٣)** توفر فرص العمل في أبها وخميس مشيط ، وتوفر الخدمات الصحية والتجارية جعلت بعض الأسر والأفراد في الأرياف يفضلون الإقامة في مدينتي أبها وما حولها مثل خميس مشيط، وأحد رفيدة، والفرعاء (القرعاء) ، والسودة وغيرها . وقد زادت نسبة هؤلاء خلال العشرين سنة الأخيرة

---

(١) حديثنا عن مدينة أبها ، وكليات البنات الموجودة على طريق الملك عبدالله تكاد تكون خارج المدينة ، لكننا ذكرناها لأنها تتبع إدارة الجامعة الموجودة داخل المدينة . وأيضاً بعض الأسواق الخارجية عن المدينة مثل: عسير مول وغيره. وتاريخ العمارة الحديثة في مدينة أبها يستحق أن يدرس في كتاب أو رسالة علمية .

(٢) حبذا أن نرى طالبة أو طالباً في برامج الدراسات العليا بجامعة الملك خالد يدرس تاريخ العمارة الحديثة في أبها، ويشير إلى العمائر القديمة التي مازال بعضها ماثلاً للعيان في أجزاء من المدينة . وأقول إن تاريخ المساجد ، او المطار ، أو العمارات التجارية يستحق أن يفرد لكل نوع دراسة تفصيلية موثقة .

(٣) إن الأحياء القديمة وبعض الحديثة التي أشرنا إلى بعضها في صفحات سابقة من هذا المحور ، وما ظهر من مخططات وأحياء جديدة تستحق أن تدرس بشكل تفصيلي منذ نشأتها حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) ، وآمل أن نرى باحثاً جاداً يقوم بهذا العمل العلمي الجدير بالبحث والتوثيق.

(١٤٢٠هـ-١٤٤٠هـ/ ٢٠٠٠-٢٠١٩م)[١]. (٤) كون منطقة عسير وعاصمتها أبها ناحية سياحية ، فالازدحام يرتفع فيها خلال الصيف ، لأن أهل البلاد أنفسهم الذين يعيشون في مدن المملكة العربية السعودية الكبرى ، وبخاصة المناطق الحارة ، يقضون إجازتهم الصيفية في أبها وما جاورها من السروات ، كما يأتي إليها الكثير من الزوار والسواح من داخل المملكة وخارجها ، ومعظم زوارها من الخارج هم من دول الخليج العربية . كما تنشط الحياة التجارية وتزداد نسبة السكان أثناء إقامة المعارض والمهرجان الصيفية ، والكثير من أهالي جازان ونجران وبيشة والنماص ومحائل وغيرهم يترددون كثيراً على أبها خلال إجازة الصيف ، للنزهة والتسوق وزيارة بعض الأصدقاء والأقارب .

رابعاً: التحول الكبير في حياة المرأة والشباب ، ففي الماضي كان الشباب يعملون إلى جانب أسرهم في الزراعة والرعي ، وحتى في بداية القرن (١٥هـ/ ٢٠م) كانوا يذهبون إلى مدارسهم وكلياتهم ثم يعودون إلى قراهم لمساعدة أهاليهم في كسب أرزاقهم ، وعندما توسعت البلاد عمرانياً ، وتعليمياً ، ووظيفياً ، وتجارياً ترك الناس مهنهم السابقة من زراعة ورعي وغيرها ، وتوزع أفراد الأسرة وبخاصة الذكور فالتحقوا بالوظائف المدنية والعسكرية ، وارتفعت نسبة الكسل واللامبالاة عند الشباب، وصار الكثير منهم يعتمدون على آبائهم في مصاريفهم اليومية ، ويقضون أوقاتهم في سهر الليالي ، والتجوال في الأسواق والمتنزهات وأماكن الاستراحات وغيرها. وهذا الفراغ الذي يعيشه الشباب امتد إلى نسبة كبيرة من الرجال والنساء ، ونشاهد ذلك ونسمع عنه داخل البيوت والتجمعات العامة والخاصة . أما النساء فكن في الماضي مشغولات بما يعود بالنفع والفائدة على أسرهن ، وفي العقدين الأخيرين (١٤٢٠-١٤٤٠هـ/ ٢٠٠٠-٢٠١٩م) زادت نسبة خروج النساء من بيوتهن ، واشتركن في مجالات عديدة ، وعند توفر المال في أيدي الناس ، بدأ الرجال والنساء يسافرون كثيراً داخل المملكة العربية السعودية وخارجها ، وفي العشر سنوات الأخيرة توسع الناس في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي ، وهذا مما أثر سلباً على جميع أفراد المجتمع ، والنساء في مقدمة من تأثر بهذه الوسائل فأصبحن يقضين أوقاتاً طويلة مع هذه الوسائل ، وزاد خروجهن من منازلهن ، ومن يتجول في الأسواق وبعض أماكن الترفيه العامة يجد النساء هن النسبة العظمى اللاتي يذهبن إلى هذه الأماكن . ومنذ (١٠/شوال/١٤٣٩هـ) تم السماح للمرأة بقيادة السيارة ، وصار هناك الكثير من النساء اللاتي يقدن سياراتهن داخل وخارج مدينة أبها ، وارتفعت نسبة خروجهن من منازلهن وأيضاً مطالبتهن ببعض الحريات والاستقلال في حياتهن العامة والخاصة [٢].

---

(١) هذا ما عرفته واطلعت عليه في بعض الإحصائيات والدراسات التي أعدتها بعض الأقسام في جامعة الملك خالد ، أو في إدارة الإحصاءات العامة.

(٢) دراسة وضع المرأة والشباب في منطقة عسير خلال الأربعين سنة الماضية (١٤٠٠-١٤٤٠هـ/ ١٩٨٠-٢٠١٩م) من الموضوعات الجيدة والجديرة بالدراسة والتوثيق في عدد من البحوث العلمية .

خامساً: لم تعد مدينة أبها تلك البلدة الهادئة كما كانت حتى بداية العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وإنما اتسعت أطرافها ، وتشابكت طرقها، وأبنيتها ، ومؤسساتها الحكومية والأهلية ، وتنوعت نشاطاتها الاجتماعية والتجارية ، والصناعية والحرفية، وصارت مع مدينتي خميس مشيط وأحد رفيدة حاضرة جنوب المملكة العربية السعودية، فهذه المدن الثلاث (أبها ، والخميس ، والأحد) أصبحت مترابطة بعضها ببعض ، وقريباً سوف تكون مدينة واحدة ، وقد أطلق عليها كذلك منذ أكثر من عقدين عندما عرفت باسم (حاضرة أبها) ، وهذا ما هو معروف ومدرج عند أمانة عسير، وضمن مخططاتها التنموية والمعمارية منذ العقد الثاني في القرن (١٥هـ/٢٠م). ومازالت هذه الحاضرة تعاني من بعض النقص والمشاكل الخدمية والضرورية ، ومنها (١) الحاجة إلى شبكة طرق أفضل ، وأوسع ، وما يوجد فيها الآن من طرق برية لا تكفي للضغط السكاني الذي يتزايد بشكل كبير . (٢) مازالت هذه الحاضرة وعموم منطقة عسير وما حولها بحاجة كبير إلى مطار دولي يكفي لاستيعاب حركة المسافرين الذين يأتون ويذهبون من عسير وجنوب المملكة العربية السعودية . (٣) الغالب على جغرافية أبها أنها أرض جبلية ، وسكان هذه الناحية بحاجة إلى مخططات سكنية أكثر تتوافر فيها جميع الخدمات السكنية والتجارية والصحية والتعليمية والاجتماعية . (٤) المدينة الجامعية في الفرعاء (القرعاء) على وشك الانتهاء ، مع مطلع عام (١٤٤١هـ/٢٠١٩م) وسوف تنتقل الجامعة من مقرها الحالي في القريقر داخل مدينة أبها إلى هذه المدينة، والواجب على جميع المؤسسات الإدارية الخدمية أن تعمل بجد واجتهاد على تهيئة الطرق المسفلتة والواسعة التي تربط المدينة الجامعية بأجزاء حاضرة أبها وعموم بلاد عسير. كما يجب توفير جميع الخدمات التي يحتاجها الطلاب والموظفون وأعضاء هيئة التدريس بعد انتقال الجامعة إلى مقرها الجديد . (٥) يجب الاجتهاد في صيانة وتحويل الأحياء والقرى القديمة ، وجميع المعالم التاريخية الأخرى في حاضرة أبها إلى أمكنة سياحية تخدم بجميع الإمكانات والخدمات التي ترفع مستواها السياحي المحلي والإقليمي والدولي . وأمير منطقة عسير الحالي ، سمو الأمير تركي بن طلال بن عبدالعزيز آل سعود ، يسعى جاهداً في وقتنا الحاضر إلى جعل مدينة أبها وعموم بلاد عسير قبلة سياحية عربية وعالمية ، وهذا ما سمعته يقوله ويردده أثناء العديد من اجتماعاته الرسمية والاجتماعية ، وهو ما تسعى حكومة المملكة العربية السعودية تنفيذه ممثلة في ملك البلاد سلمان بن عبد العزيز آل سعود وولي عهده محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود[1].

---

(١) حكومة المملكة العربية السعودية لم تدخر جهداً في خدمة أرض وسكان المملكة العربية السعودية منذ أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وبلاد الجنوب السعودية انطلاقاً من مدينة أبها وعموم بلاد تهامة والسراة حظيت بالرعاية الكريمة من ملوك آل سعود في شتى المجالات المدنية والعسكرية والحضارية والتنموية. وفي جنوب المملكة اليوم العديد من الجامعات وعليها مسؤولية كبيرة ومنها دراسة وتوثيق ورصد تاريخ التطور والتنمية السعودية منذ عام (١٣٣٨-١٤٤١هـ/١٩١٩-٢٠١٩م) .

٤. تعليقات وآراء :

أ - أبهـا مدينـة تاريخية قديمة ، عرفـت الاستيطان البشري منـذ آلاف السنين ، وقامـت فيها حضارات سياسيـة وحضارية متنوعة الأطـوار . وآثارها المادية السطحية والمدفونـة تثبت لنا شيئاً من هذا القول . كما أن سمات سكانها ، ولهجاتهم ، وفنونهم ، وأقوالهم ، وأخبارهم ، ومدرجاتهم الزراعية ، وقراهم ، وحصونهم وجبالهم ، وأوديتهم توحي للفاحص المتأمل بقدم هذه الأرض وسكانها [١] .

ب - أشرنـا في الصفحـات السابقة من هذا المحـور إلى صور من تاريخ وجغرافية وحضـارة مدينـة أبها في العصـر الحديث والمعاصر ، وما تم تدوينـه فقط شذرات ربما تفتح آفاقاً أوسع وأعمق لبعض المؤرخين والباحثين الجادين .

ج - هنـاك رواة زودونـا ببعض المعلومات عـن مدينة أبها منـذ النصف الثاني في القـرن (١٤هـ/٢٠م) ، ونأمل ممـن يجد عنده القـدرة والمعرفة أن يضيـف إلى ما تم تدوينـه أو تصحيح ما وقعنا فيه من نقصـ أو خطأ فذلك مطلبنا الرئيسي الذي نبحث عنه ونسعى إلى تحقيقه .

د - مـازال في أبها حتى اليـوم أبناء وأحفاد أسر وأعلام شكلـوا تاريخ مدينة أبها في القـرون الهجرية الماضيـة ، ونأمل منهم إذا كان لديهم روايـات أو مدونات أو أقوال تاريخية حضارية عن هذه الحاضرة أن يخرجوها لطلاب المعرفة ، أو يزودونا بها حتى نضيفها إلى ماتم تدوينه ونشره .

هـ - تعد مدينة أبها فقط نموذجاً صغيراً من مدن وحواضر أخرى كثيرة قامت في بـلاد السروات وتهامة منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر ، ونأمل أن تفتح هـذه الورقات الباب لبعض المؤرخين والآثاريين الجاديـن فيدرسون ويوثقون تاريخ تلك البلدات ، والقرى ، والمدن في هذه الأجزاء العربية الأصيلة .

و - نلتمس العـذر مما وقعنا فيه مـن أخطاء غير مقصـودة ، أو نقص لم نستطع استكماله ، أو غموض يجب توضيحه ، أو نقطة أو موضوع مهم تجاوزناه ، أو وضعناه في المـكان غير المناسب . كمـا نرجو من لديه إضافة جديدة إلى ما تم رصده أن يزودنا بها حتى ندرسها وننشرها في أحد أعمالنا العلمية المستقبلية .

---

(١) مازالـت حاضـرة أبها تستحق العديد مـن الدراسات الأثرية والتراثية والتاريخيـة والحضارية العميقة والموثقة . وهذا ما يجب على جامعة الملك خالد أن تقوم بدعمه وإنجازه .